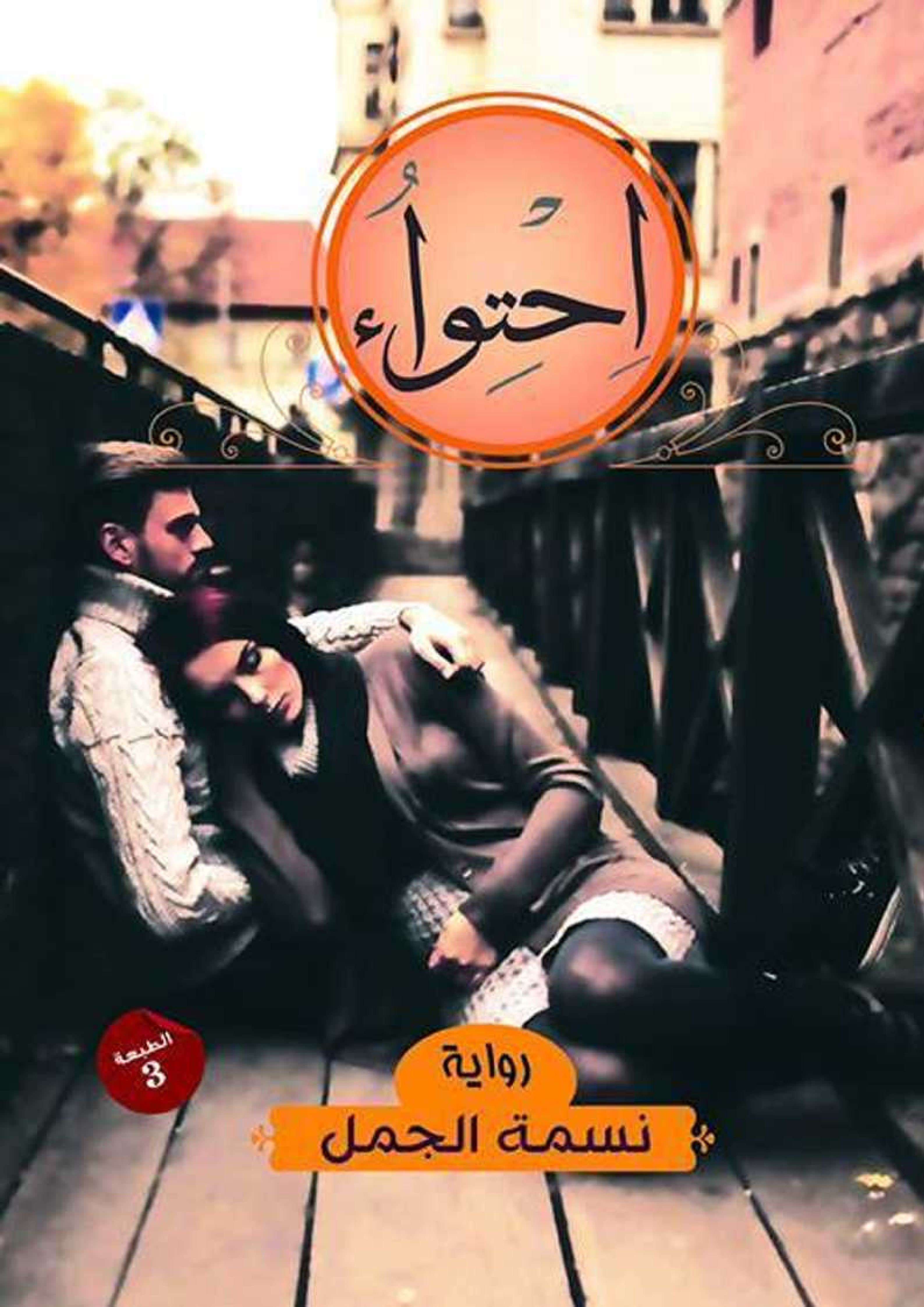

احتواء
الطبعة
3
رواية
نسمة الجمل


عصير
الكتب



احْتِوَاء

اسم الكتاب:	احتواء
اسم المؤلف:	نسمة الجمل
تصميم الغلاف:	إسلام مجاهد
تدقيق لغوي:	سارة صلاح
رقم الإيداع:	2014/21884
الترقيم الدولي:	978-977-6502-08-6
إشراف عام:	محمد المصري
مدير النشر:	عمر عودة
لطلب الكتاب :	01149811100 - 01153339390



دار الرسم بالكلمات

Facebook: https://www.facebook.com/Dar.Elrsm.Blklemat?fref=ts

احْتِـــــــــوَاء

رواية

نسمة الجمل



دار الرسم بالكلمات


عصير
الكتب

إهداء

إلى كل من أحبَّني وأحببتُه بصدق



أنا إنسان مالوش إحساس، وبعمل كل شيء ممنوع

وقلبي كإنه خيط إسود، ومن كل اتجاه مقطوع

وأكتر حاجة تعباني، إن انا حابب الموضوع

عايش عمّال استقوى، على الرَغم إني حد ضعيف

بقيت في القسوة شخصية، بجد غنية عن التعريف


عصير
الكتب

مقدمة

شاء القدر، وعبث البشر، والنتيجة، مُجردْ هيكل من البشر!


عصير
الكتب

أريكة صغيرة في أحد أركان فناء شاسع، وأشعة شمس حارقة. تجلس فتاة بشعرٍ مموَّج، تُضفي عليه أشعة الشمس بريقًا فوق بريقه، لون بشرتها مائل للسمرة، ووجهها مستدير ذو خدين ممتلئين نسبيًا، ملامحها هادئة ملائكية في مُجملها، ترتدي ملابس المدرسة، وتجلس على بُعد أمتار من أصدقائها، وهم يستمتعون بوقتهم، ترمقهم بنظرات ذات طابع غريب لم تكُن نظرات حقد أو حنق.

بل نظرات أعين حزينة ممزوجة يملؤها الاستفهام، تود لو أن تُصرح عن غضبها ببحرٍ من دموع.

و لِمَ لا؟ ففتاة الحادية عشر أصبح سنها يُعيقُها..

لم يعُد يَحق لها الآن اللهو مع أصدقائها الذكور..

فهذا ما تأكد عليه الوالدة دومًا، إياها واللعب مع الذكور.

نشأت على أن تحافظ على جسدِها، وهي لا تعلم لِمَ؟

ماذا سيحدث له هذا الجسد الهزيل؟ وما هو الفارق بينه وبين سائر أجساد من حولها من الصبية سوى كلام والدتها القاسي، وتحذيرها دومًا بألّا يقترب أحدٌ أيًا كان منها!

بعد أن أنهك عقلها التفكير كونها طفلة تريد اللعب، وكونها أنثى بقرارٍ من والدتها يجب أن تظل وحيدة في عالمها، تستفيق على رنين الجرس؛ لتعود ضحكات أقرانها فتصم آذانها، وتطلبها لمعاودة فهم ما يدور حولها..

تعود صفها، ململمة مريلتها خوفًا أن يظهر منها ما لا يجب، فهذه إحدى تعليمات الوالدة أيضًا !

حافظي على مظهرك، انتبهي لموضع جلوسك، فأنتِ أنثى، انتبهي لنفسك.

نُزعت من طفولة لا تعلم ما ذنبها بها، فقط؛ لأنها أنثى يجب أن تُعاقب، على ماذا؟ لا تعلم.

* * *

توجهت سميرة، وبيدها ورقة بيضاء باتجاه يوسف الجالس كعادته منذ يوم زواجهما بتلك الغرفة المليئة بالأوراق، والملفات.

جَلست أمامه -على كرسيّ صغير- مُصوّبة إليه نظرها بقوة؛ كي تستطيع أن تقرؤه كعادتها جيدًا:

- يوسف ؟
- الولاد لسه ف المدرسة؟
- أيوة.
- تمام، والأكل جاهز؟
- أيوة، النهاردة انت عارف بعمل الأكل من بدري، السبت أجازتنا.
- أيوة، طيب ممكن تسيبيني اكمل شغل؟
- ممكن دقيقة من وقتك مَعلش؟

نظر يُوسف في عينيّ سميرة، وتسلل الفضول لقلبه، هو يعلم أنّها لا تترك دفاتر طلابها إلا لأمرٍ في غاية الأهمية.

- أكيد اتفضلي .

- ده عقد اتعرض عليّا النهارده، ولازم ارد بالموافقة، أو الرفض بعد بكرة بالكتير.

أخذ الورقة من يدها، وعاد بكتفيه إلى الوراء خاطفًا نظرة سريعة عليها، واتسعت عيناه حين رأى الراتب المدون بالعقد، وأجابها بابتسامة باهتة:

- بس انتي مش بتاخدي رأيي يا سميرة، انتي بالفعل قررتي!
- ليه بتقول كده؟
- لإنك بدأتي كلامك بالموافقة أو الرفض، رأيك واضح، وهو الموافقة.
- بصراحة، أه دي فرصة كويسة لينا، ولولادنا جدًّا.
- طيب، وأنا والاولاد؟
- هشوفلك معايا عقد عمل.

(تطلَع بها مطولًا، كيف لها، وهي تعلمه جيدًا؟).

تتحدث بهذه السذاجة، تعلم جيدًا كيف جاهد؛ ليصبح بهذه المكانة؛ فرغم أنّه لم يتجاوز الثالثة والأربعين، واسمُه أصبح من أبرز المحامين في مدينته، وتُدرك جيدًا كيف يطمح، ويعمل على أن يكون من أكبر، وأهم المرافعين بمصر جميعًا.

حدّقت إليه بدقة، نظراته لا تبعث الطمأنينة، حاولت أن تقرأ ما يوجد داخل عينيه، تحدثت بتروٍّ، وهدوءٍ؛ فهي أكثر من يَعلمُه، ويَعلم أنّه لا يمكن لشيء أن يقف أمام حُلمه.

قالت بنبرة ترجٍّ:

- عشان خاطري يا يوسف وافق، وحياة محمد واحمد، وافق.

نهض يوسف، ومشى باتجاه الشرفة، رجع بيديه خلف ظهره وعقدهما ببعضهما، ظلَّ صامتًا قرابة الدقيقتين.

تخضبت وجنتا سميرة؛ فهي تعلم جيدًا أنّه لا يحبّذ الثرثرة، وقراره مرة واحدة فقط، لا يتراجع به، انتظرت وداخلها يحدثها..

ماذا إن لم يقبل؟

طال الصمت بينهما، وشعرت سميرة بوجوب القيام بجهدٍ شاق؛ كي تنتظر كلماته،

فلو رفض، هل ستقبل أن تعدل عن فرصة كتلك؟ هل يشفع حبهما الماضي لها أمامه، ويجعله يقبل دون أن يخيّرها بين هذه الفرصة وبين أبنائها؟ توقفتها كلمة الماضي..

فكيف لحب أن يظل، وأرواحه غائبة؟

أطرقت رأسها إلى الأسفل، تنهدت عميقًا..

ففيما مضى كان العشق سيد هذه العلاقة، والآن أين هما؟ هذه الحياة العملية، والمال، والسُّلطة المُغيبون وراءها، ويطمحان إليها، تسلبهما أروع ما يملك بشر(المحبة والإنسانية).

رفعت رأسها إلى الأعلى، وهي عازمة أن تخبره بأنها تفتقد تلك الحياة الماضية، فلينسى هذا الأمر، وليعودا فقط اثنين متحابين، يعشقان بعضهما.

لتراه يستدر وعيناه العميقتان الجاحظتان تلمعان، نظر إليها بإمعانٍ مما زاد من توترها، وقال:

- موافق.

نظرت إليه بدهشة، وسعادة غامرة، متناسية تمامًا ما كانت تعزم على فعله، أقدمت نحوه بخُطى سريعة، وعانقته.

لفّ يديه حول خصرها، معانقها بدوره لثوانٍ.

غابت داخله، لم تشعر بهذا القرب منذ زمنٍ، تتمنى أن يظلّا هكذا لفترة كافية، أبعد يديها عنه ببطء معتدلًا في وقفته:

- دي فرصة كويسه جدًا، بس ...

تلاشت الابتسامة الواسعة من على وجهها، متحولة لابتسامة باهتة تأخذ مسارها للتلاشي، وهي تخشى ما بعد (بس)...

* * *

تستمع إلى مُعلم التربية الدينية، وهو يتحدث عن أهمية الأهل، وخصوصًا الأم .

فقال :

- أوصانا الله عز وجل، ورسوله أن الأم هي أهم وأعظم شيء في حياة الإنسان، رضاها من رضا ربنا.

زمت شفتيها، كيف الأم بتلك العظمة؟ ووالدتها دومًا تعاملها معاملة بشعة، كلما أشاد المعلم بقيمة الأم، كان توترها يزداد، تمنت الوقوف؛ لتسأله: هل كل الأمهات هكذا؟ أم الأم التي لا تعرف عن الحنان شيئًا، بغضها ليس خطأ، وفعل محرّم يعاقب عليه رب العالمين .

وإذ بصوت فتى وراءها يتساءل بهدوء:

- بس أنا مامتي مش طيبة، وبتعامل بابا وحش يا مستر، وبتعاملني انا، وخواتي بعصبية دايمًا، أنا بكرهها، هل ده حرام؟!

شعرت حلا بالسعادة حين سمعت كلمات زميلها؛ فقال كل ما تريد قوله بدقة، وتتطلع للمعلم وكلماته بدقة، وهو يجلس أمامها -على كرسي- وقال:

- مش ممكن مامتك بتبقى تعبانة من البيت والشغل، وانت بتروح تطلب منها حاجات وقت تعبها ده، فترهقها أكتر؟
- لأ يا مستر مش بعمل كده، حتى بابا بتفضل تتعصب عليه.
- يبقى ماما أصلًا عصبية، ودي طبيعة فيها.
- أوي يا مستر، كده إني أكرهها حقي، وربنا مش هيزعل مني، صح؟

قطب المعلم جبينه، وقال باقتضاب، وكأنه يجاهد ليجد الكلمات مما زاد من فضول حلا:

- الأم مهما عملت، رضاها هو دايمًا شغلك الشاغل، الأم والأب لازم يتعاملوا بطيبة، لازم تعرف إن رضاهم عليك- حتى لو هما وحشين- يدخلك الجنة، ويخلي ربنا يحبك.

تحدث الفتى بعصبية، وبراءة:

- بس، ازاي ربنا يحبها، وهي اللي وحشة؟
- ربنا اللي هيحاسب يا حازم.
- بس، انا بزعل أوي؛ عشان بابا ده طيب أوي.

قطع المعُلم الحديث، وجد في نفسه ما لا يستطيع الاستمرار بهذه المناقشة؛ فهو يدرك تمامًا أنّ هناك الكثير من الأمهات لا يستحققن هذه المكانة العالية.

- (وخصوصًا عندما يأتي الكلام من طفل بهذا السن، هو صادق دون مجادلة).

بدّل حديثه بسرد قصة يوسف؛ كي يتهرب من هذه المناقشة المؤلمة له قبلهما؛ فمن الصعب عليه سماع كلمات مؤلمة هكذا من طفلين بهذا السن.

لم يُرضِ كلامه فضول حلا تمنت لو تقف وتسأله، ولكن كالعادة تلتزم الصمت؛ كي لا تكون مرئية؛ فهي تُفضل هذا، وتتمنى أن تظل هكذا باقي عُمرها.

* * *

متشابكي الأيدي، يتسارعان، مَن منهما سيبدّل ثيابه أولًا لدى عودتهما من المدرسة.

وينتظران كالعادة حتى تبلغهما الأم بتجهيز الطعام، بدّلا ثيابهما، والملل يسيطر عليهما؛ فمتى ستتذكرهما الوالدة، وتشعر بوجودهما؟ لا يعلمان .

أخذا يلهيان مع بعضهما داخل الغرفة، محاولين التمتع بوقتهما بأي شكل من الأشكال.

فيأخذ أحمد لعبة شقيقه، ويقوم بتحطيمها لأجزاء.

انفعل محمد ذو الحادية عشر هاجمًا عليه؛ ليوسعه ضربًا:

- انت كل ما تشوف معايا حاجة تكسرهالي، انت عاوز إيه يعني؟

أفلت أحمد من يده بأعجوبة، وهو يضحك، ويقول بعفوية:

- بفرح أوي لما بشوفك متضايق.
- ليه، ليه انت بتكرهني ليه؟
- أنا بكرهك يا عبيط! حد يكره أخوه الصغير، أنا بحب أشوفك متنرفز بس، بتبقى جميل، وانت وشك أحمر، ونرفوز كده.

ابتسم محمد رُغمًا عنه، وقال ببراءة:

- بس، ماتقولش صغير انت أكبر بسنة واحدة، وبعدين اللي بيشوفونا سوا بيفتكروني الكبير، ماشي؟

ضحك أحمد هذه المرة بِشدة، وهو يعلم بأن ما سيقوله سيزيد من حنق محمد أكثر، وقال:

- أه، عشان قلبوظة.

* * *

أدارت حلا الباب بمفتاحها الخاص الذي لا يفارق رقبتها، فلو حدث وضاع منها ستعاقبها والدتها لإهمالها.

دخلت بهدوء؛ كي لا تزعجهم.

فبهذا الوقت يكون الوالد بالمنزل يأخذ قيلولة النهار، ويعود مرة أخرى يمارس عمله بمصنع الملابس الصغير الذى يملكه.

استوقفتها بعض الهمسات التي لفتت انتباهها، فتعود بقدمها إلى الوراء.

ترى من نافذتها الشاب العازب قِبالِهم، ومعه فتاة دون ثياب: يا خبر إيه ده!! قالتها لنفسها، وهي لا تدرك ما هذا المنظر المُخِل!

أمعنت النظر طويلًا فقد راق لها ما رأت، وإذا بعين الأم تحدق بها، تنظر حيث كانت حلا موجهة عينيها؛ لتهرع خائفة نحو غرفتها.

نظرت بخوفٍ بأرجاء الغرفة، تحركت ببعض الارتباك على مقعدها، تساءلت ما هذا المشهد المثير للجدل، والعجيب، ماذا كانا يفعلان؟

دقائق بطيئة..

تسمع خطو أقدام تقترب من غرفتها.

صوت الأقدام يقترب أكثر، لا تعلم لِمَ انبعث داخلها هذا الخوف العظيم؟

فلم تفعل شيئًا، لِمَ تخشى العقاب من والدتها؟

نهضت حلا مرتعبة عندما وصلت إلى الباب وفتحته، باندفاع مبالغ ظلت تنهرها، قائلة:

- كنتي بتشوفي إيه يا قليلة الأدب، كنتي بتعملي إيه، مش بقولك إنك بنت مش مظبوطة، وخوفي منك وقلقي صح، أنا مش عارفة ليه ربنا يعاقبني بيكي؟ ليه؟

كان البكاء رد فعلٍ سريعًا، لا تستطيع استيعاب لِمَ دومًا تعاملها هكذا، وهي لم تُخطِئ، ودومًا هي المذنبة، ويملؤها السوء؟

ظلت الأم تعنّفها، وهي لا تتحرك، فقد تبلّد جسدها الهزيل، من كثرة التعنيف، وتبلدت مشاعرها من شدة الإساءة.

* * *

شعرت سميرة بالوهن، وتخشى كثيرًا ماذا بعد (بس) تلك؟

هل حان الآن موعد أن تختار بين هذه الفرصة، وبين ولديها؟

ولو حدث أيهما ستختار؟ بالتأكيد، ابنها وهو، فقرارها محسوم من قبل أن يقول شيئًا.

تحدث مع تسارع دقات قلبها، وقال:

- بس هتروحي لوحدك، أنا والاولاد هنفضل هنا.
- ازاي، ومين يخلي باله منكم؟
- انتي هتنزلي أجازات، والاولاد يبقوا يجولك.
- قالتها، وهي تنظر بعين راجية أن يأتي حديثه كما تتمنى:
- وانت؟
- أنا إيه؟
- هتسافر لي، هوحشك؟
- هتوحشيني طبعًا، مش هسافر، أنا مكاني هنا، مش هسيبه، إلا لما روحي تطلع من جسمي، دي بلدي، وده مكاني، وهنا هحقق ذاتي.
- بره هتحقق، وتوصل أسرع.
- لو حققت مليون نجاح برة، مش هحس بلذّته زي مصر مكاني، ونجاحي، وتفوقي، مليون نجاح مش هيضاهى فرحتي بنجاحي فيها.
- مصر فيها إيه يتبكي عليه؟

- فيها إسمي وإسم جدودي، فيها روح، فيها طيبة مش هتلاقيهم مهما شوفتي وشوش كتيرغيرها، لها ريحة ممزوجة بالألم والقهر، بالأمل والفرح، فيها شعور متناقض هيفضل فينا لحد ما نموت.. ليه بنحب البلد دي؟
- مش عارف ليه بحب البلد دي، بس انا اتولدت بحبها، وهموت برضو بحبها، هزعل منها، وهتفضل توجع في روحي زي الغُصة المُرة في حلقي، ومهما حصل من ولادها، برضو هفضل احبها.
- بس كده هيحصل بينا جفاء، بلاش أحسن.

أمعن النظر إليها طويلًا، وضحك بصوت عالٍ، مجتهدًا ألّا يفعل، ولكن رُغمًا عنه تغلب عليه انفعاله، ليجدها تنظر إليه ببلاهة، قال، وهو مشفق عليها:

- "انتي مش حاسة إن الجفاء موجود فعلًا؟!"

غضنت جبينها، ورفعت رأسها إلى الأعلى، كان إخضاع قلبها لقرار الاعتدال عن قرار السفر على وشك الفوز.

ولكن هل تستحق هاتان العينان الجاحدتان البقاء؟ وإن حدث، هل سيعودان كسابق عهدهما؟ أم هو مجرد ماضٍ وقد ذهب؟

أوشكت على التحدث، لتجده يجلس مرة أخرى على مقعده، واستعد للعودة إلى دفاتره، وقال:

- يَلا يا سميرة، روحي وخليني اشتغل، ورُدي عليهم بالموافقة، ودايمًا هنستنى أجازاتك.

كانت توشك على لفظ جملتها المتحشرجة بحلقها، أريد العودة لهذا الحب المؤلم، هذا الوخز داخل قلبي، أريدك فقط، أريد الألم قربك وأنت جواري، وأخشى فقدانك، أود أن أشعر بكَ، وتشعر بي مثل السابق.

ولكن نظرته الجامدة، وتجاهله بأنها مازالت بالغرفة نفسها جعلها تسرع بالخروج عازمة حقًا على سفرها دون ندم.

* * *

بعد أن انتهت والدتها من تعنيفها، لم تُعِر للأمر اهتمامًا، لم يعد يؤلمها ما يحدث لها -شِبه يومي- من بطش والدتها لها مذنبة كانت أم لا، وهي حتى لا تدرك ما هو ذنبها، فليست هي المُخطئة كونها أنثى.

هي أنثى تلومها، والدتها دومًا على شيء لا تعلم ما ذنبها به؟ ذنبها أنها خُلقت مع أم تراها عارًا ووصمة كونها فتاة، تشعرها دومًا بندمها لوجودها بحياتها، لم يكن التقارب يومًا يعرف مكانًا بينهما، لم تكن والدتها تعاملها مثل شقيقها بنعومة، وامتنان لوجوده بحياتها، فكل ما كانت تجيده التعنيف، فقط تعنيفها، لم يعد يؤلمها البغض، والحقد بنظراتها وكلماتها، فقد نشأت عليه، تعلمت أيضًا بأنها والدة نفسها وصديقتها، فهذه المرأة بالخارج لا تراها سوى شيءٍ كريهٍ بحياتها.

هزت رأسها يمينًا ويسارًا لا تريد التفكير بها أكثر؛ فتفكيرها بوالدتها يرهق عقلها الصغير الذي لا يستطيع استيعاب ما يحدث لها.

توارد لذهنها، مرة أخرى، ماذا يفعلان؟!

هل الأمر رائع؟

وُلِدَت داخلها مشاعر مختلطة كثيرة، وما تفكر به، ما الممتع بالأمر؟

بدلت ثيابها، وهي تتحسس جسدها، تشعر بالإثارة، هذا الجسد الهزيل يتعطش لشيء، لا تدري ما هو، فقط هناك شيءٍ ما يتغير بها ماذا يوجد به، ويجعل والدتها دومًا تعاملها بعنفٍ، لِمَ لا تعاملها مثل سيف؟!

* * *

أعدت الطعام على المائدة، وبصوتها العالي، استدعتهم للحضور.

جلس يوسف على رأس المائدة، وبجانبه على اليسار محمد وأحمد، وعلى الجانب الأيمن سميرة التي لا تستطيع مضغ ملعقة طعام واحدة منذ جلست.

يودّ أحمد أن يضايق شقيقه، ولكن يخشى من بطش والده، فيحرم عليهم اللهو بحضوره، إن أراد أحد منهم شيئًا يجب عليهم أخذ موافقة منه قبل التحدث.

لحظات بطيئة مضغ بها يوسف أخر مِلعَقة، وقال:

- أخبار دراستك إيه يا محمد؟

نظر محمد إلى شقيقه كأنّه يستجير به سريعًا، وتهته قائلًا:

- ا أ إ الحـ الحمد لله يا بابا.

رفع نظره عليه، وهو يتحدث بهذه النبرة المرتبكة، وما لمس في ابنه من عدم ثقة، حدق بمقلتيه داخل عينيه، وقال:

- ليه بتهته كده؟ انت كبرت، وراجل خلاص على شغل الأطفال ده.
- اا أنا مش بتهته، أنا كويس.
- قاطعهما أحمد سريعًا مساندًا أخاه؛ فهو يعلم أنه يخشى والده :
- محمد راجل يا بابا، بس هو تعبان وكان هينام.
- ضغط أحمد بيده على يد محمد بشدة يطمئنه، في حين غياب دور سميرة تمامًا، وكأنها ليست على نفس الطاولة فهي كعادتها بعالم آخر، وتابع أحمد:
- وبعدين يا بابا احنا واخدين بالنا جدًا من مذاكرتنا ماتقلقش علينا، احنا اتعودنا على ده.

نظر يوسف داخل عينيْ أحمد هذه المرة بتركيزٍ.. يا للغرابة! إنه هو، بنفس التصميم والتحدي، نفس النظرة، وكأنه ينظر بالمرآة !

لم تتوراى عينا أحمد، ولو لثانية ظلَّ ينظر لوالده دون خوف، شعر داخله بتحدٍّ أعظم، هذا الرجل يلامس أعماقه بشدة، أحيانًا يشعر بالدغدغة المؤلمة بمعدته، وأحيانًا يشعر بالقوة والنصر.

- قطعت كلمات يوسف هذه النظرات العميقة المخيفة بعض الشيء، وقال:

- ياريت يا احمد تعلم اخوك يبقى زيك .

ونهض عن المائدة دون أن يزد بحرف آخر.

شعر أحمد بالسعادة، غير مدرك لِمَ، ولكن داخله شعور بالثقة الكبيرة، نظر إلى شقيقه الذى ترك طعامه، وظهر على وجهه العبوس، وقال:

- مالك يا محمد؟
- بابا بيقول بتدارى فيك يا احمد، أنا ليه شخصيتي مش قوية زيك، رغم إني بقدر عليك وأقوى منك وبضربك؟

ضحك أحمد بصوت خفيض، وما كانت تلك الابتسامة سوى شعور خفي داخله فرحًا بما حدث منذ قليل:

- خلاص نبقى خالصين، انت شاطر في الضرب، وانا شاطر في الكلام .

* * *

تجلس وحيدة على مكتبها منهمكة بتناول طعامها، وكأن ما حدث منذ قليل لم يكن.

سمعت والدها وهو يودّع والدتها .

أسرعت إلى باب غرفتها وأمعنت النظر، لمحت عيناها ملابس والدتها الكافية فقط لإخفاء القليل من جسدها، فما هي غير إبراز لأنوثتها، وإثارة لمن حولها .

وجدت والدها يقبِّل والدتها، وتركها راحلًا.

أسرعت إلى الداخل مرة أخرى سريعًا، قبل أن تراها مرة أخرى، وتعنفها.

جلست تُنهي طعامها، حتى سمعت صوت شقيقها وهو ينادي الوالدة، أسرعت مرة أخرى إلى باب الغرفة لترى ماذا هناك؟

سيف ذو الثانية عشر يقف، وبيده طعامه:

- أنا خلّصت يا ماما .

شعرت حلا بالفضول حين رأت والدتها ترتدي ما تحاول إخفاء جسدها به، وهذا أثار التساؤل داخلها.

لِمَ الوالدة ترتدي مثل هذه الثياب المخزية أمام والدهم ولا تخشى أن نراها؟ تساؤل يدور داخلها، ولا تستطيع الإجابة، ولكن عادت مرة أخرى للداخل.

نامت على سريرها، تلاعبت بخصلات شعرها، وضغطت على شفتها السفلى، متسائلة بشعورغريب يسيطر عليها.

ما هو شعور الوالدة، كيف العلاقة بينهما؟

هل مثل التليفزيون، فيقوم والدها بتقبيل والدتها، وأخذها بين أحضانه، هل تشعر والدتها بالسعادة لذلك؟!

* * *

- والله هتوحشوني جدًا.
- قالها أحمد، وهو يجلس مع أصدقائه بأحد المقاهي، وتابع يقول:
- بس هعمل إيه، ماليش أبدًا رأي يَلا نعيش هنا هنعيش، يَلا نمشي من هنا هنمشي.

نظر صديق إليه لبرهة، وقال:

- حاسس صوتك مخنوق أوي يا احمد.

زم أحمد شفتيه، ورفع حاجبيه قائلًا:

- أنا مابتخنقش يا حسن، أنا بخنق بس، ويَلا أهي مغامرة جديدة.
- بس هتوحشنا.
- طبعًا لازم أوحشكم يا أوغاد، هو انتم ليكم غيري؟

طال الصمت بهم وشعر أحمد بوجوب الذهاب عنهم، كي لا يتفاعل معهم، ويشعر بالألم، فهو لا يعرف اللألم.. الألم فقط محطة للضعفاء، وهو لم يعرف الضعف يومًا.

بَدّل ملامحه مبتسمًا:

- يَلا هطير أنا على البيت، مش عاوزين حاجة؟

قال أحد الأصدقاء، وهو يرمقه بنظرة حزينة:

- هنشوفك تاني قبل ما تسافر صح؟
- أكيد.
- ويَلا كل ما اوحشكم اسمعوا احمد سعد هتفتكروني، وتبتسموا.

* * *

أثناء اصطحاب شقيقها سيف لها لحضور درس الفيزياء، وجدته يجذب أحدهم من ورائه بمنتهى العنف، ويقوم بتعنيفه.

وقفت حيث هي، لا تستوعب ما يحدث، ويقوم شقيقها بصفعه لكمة تلو الأخرى دون كلل، والفتى الممسك بيده يستنجد، ويقول:

- بتضربني ليه؟ ابعد عني يا ابن...

اعتدى سيف بالضرب عليه ضربًا مُبرحًا، كانت لهجة سيف جادة، واندهشت حلا حين سمعت كلماته:

- انت فاكرني مش شايفك من وقت ما نزلنا من المترو،انت ماشي ورانا مش مالي عينك يا ابن... مش شايف راجل ماشي جنبها؟!

رغم قلقها وخوفها على شقيقها، إلا أن وَقع هذه الكلمات كان ممتعًا على أذنِها، شعور بالثقة تملّكها، الإطراء على أنوثتها رغم أنف شقيقها، فكلما وجدت تلك الكلمات، وبالأخص لو كان الشقيق المستمع؛ ليبرهن أمامه أن ما يقوله لها دومًا أنها بشعة، وحمقاء.. كذب.

كل تلك السنين وهي تبحث عن السعادة الحقيقية بين كُل شاب ينظر إليها، لكن لم يحاول أحد التحدث إليها كونها تغلف نفسها بشبكة عنكبوتية، لا يمكن لأحد العبور من بين خيوطها، رغم جمالها الجذاب، ليس جمالًا صارخًا، ولكن هدوءه يعطيها جاذبية عالية، خوفها دومًا، وشعورها بالنقص ورعبها من كلمات والدتها جعلها غير مرئية، خوفها يحكم شخصيتها، يجعلها شخصية غير محببة وانطوائية، لم تملك تلك السنين سوى صديقة واحدة فقط (حنين) من ظلت معها، واستمرت علاقتهما.

* * *

يُودع محمد مُعلمه على باب المنزل، ويسرع إلى الداخل، ينظر إلى شقيقه بمنتهى الجدية أثناء انهماكه على الحاسوب:

- اشمعنى انا اخد درس، وانت تقعد على الفيس؟
- لإنَك يا قلبوظتي لسه صغير.
- ماتقولش قلبوظتك دي، أنا رفعت.
- ما انت عارف بحب أقولك كده أوي.

ظهر الحنق على وجه محمد، وعقد حاجبيه تاركًا شقيقه، عائدًا لمجلسه كي يكمل واجباته.

أسرع أحمد وراءه، وهو يعانقه من الخلف بمرح، وقال:

- يا عبيط، انت ارفع مني.
- بس الكلمة بتزعلني يا احمد.
- خلاص أنا آسف، والله مش هقولك كده تاني، وعد.

يشعر أحمد بالألم لما يلمس دومًا من حُبٍّ لأخيه، ولشعوره الدائم بأنّه كل ما يملك في هذه الحياة.

ابتعد محمد عن شقيقه، وهو يقترب من المائدة القابعة بها مذكراته، وقال-وهو يجلس على كرسيه وبعينيه بعض الدموع المتلألئة- :

- أنا ضعيف ليه كده، ليه شخصيتي وحشة كده يا احمد ليه؟

* * *

لدى ذهابها للمنزل لأخذ قسطٍ من الراحة، بعد يومٍ شاق كالعادة مع طلابها.

تؤلمها وحدتها، هذه الجدران تشبه المنفى، تكون السجن، وهي سجانة نفسها، فلقد فضّلت الترف والبيت الفاخر، والملابس الجيدة، والمَعيشة الرائعة، فضلًا عن البقاء بجانب زوجها وولديها.

المال أم الأولاد؟ العاطفة أم رفاهية المعيشة؟

قالتها لنفسها والألم يعتصر قلبها، وكل ما حولها يُفقدها شهيتها للحياة، تناست تمامًا ألم معدتها وشعورها بالجوع، ما يسيطر عليها فقط حنينها لحياة هجرتها بمحض إرادتها.

ارتخت بجسدها المتعب على وسادتها ببعض اليأس، هل ألمها هذا من الممكن أن ينتهي يومًا ما؟ وما هي إلا دقائق، حتى هجم النعاس دون فجأة، تغلب عليها تعبها كالعادة، فغطت في نومٍ عميق.

* * *

وسط التهانئ بنجاحه كالعادة، بفوزه بهذه القضية الصعبة. جلس على أحد المقاعد الشاغرة بدار القضاء، محاولًا التقاط أنفاسه. فقد أصبح هذا المُرَافع الهُمام، الذي لطالما حلم به، أصبح يوسف من أكبر المحامين بمدينته، وصدى اسمه يدوي في مصر بأكملها، الآن يشعر بالرضا عن نفسه.

نهض عن مجلسه متكاسلًا على غير عادته، فأصبح يبدو عليه مشقة تلك السنين الكثيرة، التي ما كان بها سوى محاربٍ لوقته، ولظروفه، ووحدته. أخذه هذا النجاح هو وزوجته، وتناسيا أهم ما خُلقا من أجله.

* * *

بعد فض التشابك وتخليص بعض الموجودين لهذا الفتى المتهالك من يدي سيف بعد معاناة، أسرع لشقيقته، وأخذ يعنّفها على ملابسها، وكيف لهذا البنطال الضيق، الذي لم يكن هكذا سوى بعينيه، فقد كان فضفاضًا جدًا، ذلك الفستان القصير جدًا، يجب أن يطول أكثر. مما يؤكد غيرته، ليس إلا، فملابسها كانت فضفاضة جدًّا، مناسبة لسنها.

جذبها أمامه بمنتهى العنف، أدخلها المنزل القاطن به المدرس وقال، وهو يودعها:

- مش هتأخر، الساعه **8** بالظبط هكون هنا.
- طيب.
- ماتكلميش إنسان.
- حاضر.
- سلام، وركزي في الدرس.

تركها وذهب، تنظر إليه بحِدّة، وهو يغيب عن أنظارها، كم تبغضه، وتكره تحكُّمه بها؛ فليس من حقه معاملتها هكذا.

لتبتسم رُغمًا عنها عندما تذكرت هذا الفتى، وثناءه على أنوثتها التي أصبحت على قدر كافٍ منها الآن.

فهي الآن أنثى مثل والدتها، برزت بها مفاتن وأنوثة.

تريد أن تعلم ما الذي يجعل والدتها تقسو دومًا عليها، ماذا يمكن أن يحدث له ولها؟

دخلت وجلست بجانب إحدى الفتيات، وبجوارها مكان شاغر، أتى سريعًا أحد الفتيان، وجلس جانبها.

أخذ بنفسٍ طويل يلتقط به أنفاسه. بعد ثوانٍ انتبه لوجودها جانبه نظر إليها، وحملق لدقائق، وابتسم:

- انتي عسولة ازاي كده!

* * *

فور وصوله إلى المنزل سمع صوت رنين الهاتف،

ومحمد يهرع مجيبًا:

- ماما، ازيك وحشتيني.

ترك حقيبته بهدوء على مقعد في بداية الغرفة، جلس بالمقعد الآخر غير مبالٍ، فقط يشاهد ما يدور حوله.

كيف لهذا الفتى أن يثير الضيق بنفسه كلما رآه، ورأى الضعف به، ورأى شخصيته الهزيلة؟

كيف يتمايل وهو يحدِّث والدته، وكأنه فتاة تشتاق لوالدتها؟! يزيد من غضبه كلما لمس به الاشتياق لوالدته، وتعلقه بها كولدٍ صغير مرتبط بأم تقوم بإرضاعه.

سخطه يزداد مع كل كلمة يتفوه بها، يريد أن يقوم ويصفعه معنفًا له: كن أقوى تماسك فأنت شاب.

ليستمر بالمتابعة بعينيه فقط.

* * *

أثناء جلوس سيف على أحد المقاهي منتظرًا شقيقته، انفعل على زميله، وقال:

- وربنا انت بتغش.
- والله أبدًا ده الكومي.
- مابقولش على اللعب، أنا بقول على اللي بتقول وقعت في دباديبك ديه.
- وليه مستغرب يعني، مش عاجبك؟
- لأ، البنت من أول يوم ف الجامعة، وهي قمة في الاحترام، عمرها ما حاولت حتى تتكلم معانا، ولا سمحت لينا نكلمها.
- بس كلمتها.
- اثبت لي.
- أهو، اسمع صوتها معايا اهو.
- مسجلّها يا سمير؟

- لأ، ده واتس، احنا بنبعت لبعض صوت.
- أه، طيب.

جلس حانقًا، يلعب على مضض، وكل ما يفكر به:

- هو مافيش بنت هتبقى محترمة أبدًا، كل ما أقول في بنت محترمة اتصدم في حد.

وتابع لصديقه:

- إمتى يا أخي نقول في بنت محترمة، وتطلع كده؟
- لما تقول فيه ولد محترم ويطلع كده.
- بس الولاد كتير محترمين، البنات اللي سفالتهم زادت أوي.
- لو محترمين ماكانتش البنات اتشجعت على السفالة.

عقد حاجبيه، وتابع:

- منطق سخيف، يعني مُعترف إنك انت اللي وحش، وسافل؟
- لأ، ده الحق، وأيوة مُعترف ما لو كل واحد يحترم البنت اللي بيتعامل معاها، ويراعي ربنا فيهم، ماكانتش البنت تفضل تتنقل من ولد للتاني.

زم شفتيه فلم يقتنع بكلام صديقه، ولكنه أيضًا لا يحب التحدث بهذا الأمر مطولًا، يرهقه التفكير في أنّ كل بنت وجدَ بها الطيبة والاحترام، نجح أحدهم بالوقوع بها.

* * *

اتسعت شفتاها، لَمِعَت عيناها، وتوردت وجنتاها خجلًا.. فهذا الفتى الوسيم الذي يمتدح جمالها هو نفسه من كانت تسمع الفتيات الأخريات معها بالدرس يتمنين فقط لَفْتَ انتباهه، وفعلت هي وجذبت أنظاره، يا لهذا الثناء الذي طال أعماقها.

حين وجد توردها تابع بابتسامة، يمتدح عطرها أيضًا، وقال:

- والبرفيوم بتاعك تحفة.

رَفَّ جفنها بدهشة؛ فلا تصدق ما تسمع، أسرعت القشعريرة تسري بجسدها، لينتفض كل جزء بها.

ابتسم حين وجد منها هذا الارتباك، والاحمرار الزائد، وقال برقة معهودة:

- ممكن نبقى أصحاب؟

* * *

كان صوت محمد مناديًا لشقيقه؛ كي يحدث والدته في حين ترقب أعين والده له، وشعوره بالرثاء عليه، وعلى ضعفه.

على عكس أحمد الذي غلَّف حديثه الجمود، وقال:

- ازيك؟

- كويس، أيوة الحمد لله، لأ مش هاجي في الأجازة، حضرتك حابة تيجي ياريت، مش هتقدري شغلك أهم طبعًا.

ظلَّ يوسف محدقًا به، يا لي هذا الفتى كم يشبهه! يملك صلابته، وجموده، إنه هو، بشماخته، ببرودة أعصابه، بمرحه أحيانًا الذي تناساه مع زحمة الحياة، ولكنه هو.

ليجذبه قول محمد؛ أنه يريد السفر فقد اشتاق لوالدته كثيرًا، ويقارن بعينيه وعقله، فعلى صعيد آخر لا يشبهه هذا الفتى، به الكثير من والدته، يملك منها هدوءها، ضعفها أحيانًا، ولكن هل يملك قوتها بترك أولادها، والبحث عن المال؟

هل يمكن للمادة أن تغيّر شخصيته الضعيفة - من وجهة نظره - تلك؟

* * *

تستمع إليهم، والألم يعتصر قلبها، تشتاق إليهم بشدة، تستمع إلى محمد ذي القلب النقي، العطوف، كي تحاول نسيان جمود ابنها الأكبر أحمد.

تمسح دموعها التي هاربة من مقلتيها عازمة على عدم البقاء، وتقول:

- بابا فين يا محمد؟
- جنبي يا ماما.
- ماشي حبيبي، أكلمه.

وجه محمد عينيه لوالده، يبدو عليه الرهبة، وقال:

- بابا، ماما عوزاك.

تقدم يوسف من محمد بخطى ثقيلة، واتجه بالقرب من الهاتف.

ترك محمد سريعًا السماعة لوالده، وأسرع إلى الخارج، فمن العادات لديهما، حين يتحدث والدهما إلى الوالدة، لا يتواجدان، تحدَّث يوسف بعد ثوانٍ بتثاقل:

- ألو.

* * *

ازدادت حمرة وجهها، وكلماته تداعب أذنيها.

كيف يكون وقع هذه الكلمة ساحرًا هكذا؛ لأول مرة يقوم أحد باللعب على أوتار قلبها. حقًا هذا الوسيم يريد صداقتها؟

ذهلت حلا محاولة، إدراك ما تسمع وما ترى.

وجدته ينظر إليها هائمًا، وابتسمت رغمًا عنها بخجلٍ واضحٍ.

قاطع هذا الحوار الصامت، اللامس لمشاعرها بمنتهى السحر، على سيمفونية ممزوجة بمشاعر الرهبة والخوف، انقباض القلب ودقاته المتسارعة، صوت مُعلم الفيزياء حاد النبرة، قائلًا:

- كله يركز معايا هنا.

وأخذ يدوِّن بقلمه على السبورة.

انتبهت بدقة مع المُعلم، وهي تشعر بالحرج من كل من حولها؛ خاشية أن يكونوا لاحظوا هذا الحوار الذي دار بينهم.

ولم تدرك متى وكيف أخذ هذا الهَيثم دفترها من أمامها، ودون رقم هاتفه داخله، ودون أيضًا:

ازاي قلبنا يرتاح لحد بسرعة كده، إلا لو كان الحد ده شخص مش عادي، انتي أكيد قطعة من الجنة. بحبك ومش عارف ازاي! منتظر اتصالك بي..

* * *

تحاول إيجاد كلماتها، فهي حقًا تشتاق إليه بشدة.

يؤلمها الحنين الذي دومًا يُقابَل بازدراء.

تؤلمها قسوة الألم المتعايش معها، وداخلها طيلة تلك الأعوام.

ولكن، كيف لها أن تقول ما تشعر، لهذا الصوت الخشن، القاسي، الخالي من المشاعر، لتتكلم كالعادة محاولة إخفاء ما يجول بخاطرها:

- ازيك يا يوسف.
- ازيك يا سميرة، عاملة إيه في شغلك؟
- الحمد لله، وانت؟
- الحمد لله، كسبت النهاردة القضية.
- ده الطبيعي، مبروك.
- هننقل البيت الجديد بالقاهره قبل ما تنزلي، لو نزلتي السنة دي يعني.
- حقيقي، يعني أنا هاجي على القاهرة على طول؟
- أيوة، يخلص محمد بس امتحاناته، وهننقل يكون البيت جاهز، أنا شُفت مهندس ديكور كويس بيظبطه.
- الحمد لله، ده خبر كويس جدًا.
- أيوة الحمد لله، هتنزلي يعني السنة دي؟

سعادة اكتسحت صوتها بقوة، قالت:

- عاوزني انزل؟
- أكيد.

أكملت بنفس السعادة، التي أصبحت تظهر بقوة أكبر بحروفها، وقالت بصوت متلهف:

- وحشتك يا يوسف؟

صمت قليلًا، وقال:

- أيوة.

كان ذلك الصمت كافيًا أن يقتل ما كانت تشعر به من سعادة، أسرعت الدموع داخل عينيها من جديد.

وتسرّعت بإنهاء الاتصال، وهي مدعية القوة.

أغلقت الهاتف، ومسحت دموعها بمنتهى اللوم.

كيف لدموعها أن تستمر بتلك الغزارة؟ ولقلبها أن يستمر على حبه هكذا؟ يا له من أحمق هذا القلب، يعشقه وهو يؤلمه، يتمناه وعاشقه بائعٌ له، لا يحق له، لا يحق لقلبها أن يظل على ذاك الحب، فمعشوقه أناني لا يحب، ولا يرى سوى نفسه فقط.

- غبية.

قالتها، وهي تتجه إلى المرآة، وتمسح دموعها، قائلة:

- أنا مش بحبه، ومش صغيرة، أنا كبرت على ضعفي ده، أنا ليّا ابن في الجامعة، وكام سنة وهبقى جدة، كفاية طول السنين وجع، كفاية ألم، زي ما انا مجرد هامش فى حياتك، هتكون انت كمان، وهثبتلك.

* * *

تُحَرِك ملعقتها بحُرّية داخل طبق الشوربة أمامها، سرِحة مبتسمة، مما أثار الريبة داخل والدتها التي ترقبها منذ أن جلست خِلسة.

تتحدث بطيبة مع سيف:

- عملت إيه يا حبيبي في الجامعة النهاردة؟

يمضغ الطعام بفمه، ويقول:

- ولا حاجة يا ماما، اليوم كله بقى ضايع مع بنتك، لما خلاص على أخري نفسي في يوم اقضيه مع اصحابي براحتي كده، إمتى نخلص من الثانوية الزفت ديه؟

الوالدة: حلا.

لم تنتبه لمناداة والدتها لها، ليركلها سيف بقدمه بعنف:

- ردي على ماما.

هرعت حلا، قائلة:

- نعم؟

تطلعت الوالدة بنظرة متسائلة:

- سرحانة في إيه ؟
- ولا حاجة، مش سرحانة.

وتحسست الدفتر القابع تحتها؛ لتطمئن أنه ما زال ساكنًا محله.

إذًا ذلك مجرد سؤال ليس له علاقه بهذا الـ هيثم، تحدثت وهي تحاول تجميع شتات أفكارها:

- فيه حاجة يا ماما؟

الأم، وهي تنظر إليها بنظرات طويلة قلقة:

- لا، كملي أكلك.
- حاضر.

بعد دقيقتين، أنهت بهما طعامها، وأسرعت، وهي تُخبئ الدفتر خلفها، متجهة إلى غرفتها،

لمست الأم ارتباكها، وقامت بالنظر سريعًا لسيف:

- فيه حاجة حصلت النهاردة في الدرس يا سيف؟
- أه، كان في ولد ...

تابعت ما يقوله بدقة، وظهرت على وجهها علامات الحنق الشديد، وقالت بغضب:

- وبعدين في البنت دي، أعمل إيه أكتر من اللي بعمله؟
- بس الغلط مش منها يا ماما، الولد اللي قليل الأدب.
- اسكت انت، ياريتها كانت ولد وريحتني.
- أه، وريحتني من مشيّ وراها في الدروس، حرام بجد، أنا ليّا حياتى برضه.

- انت راجل واخوها، تحميها، الدنيا برة غابة، ولّا عاوزها بقى تغلط، وتجبلنا مصيبة زي اللي بنسمع عنها كل شوية؟

أسرع بانفعال عاقدًا حاجبيه:

- انتي بتقولي إيه يا ماما؟ أنا معاها.
- حبيبي، راجلنا الصغير.
- لأ، الكبير.
- الكبير بابا، انت راجلي الصغير.
- طيب، هقوم أنام شوية.
- ماشي حبيبي.

جلست بيأسٍ محاولة تهدئة نفسها، ولكنها فشلت فتوترها يزداد دومًا، عندما يتعلق الأمر بحلا.

* * *

تجد باب غرفتها يفتح عليها عنوة.

والدتها تقف تحدق بها بقوة، هذا ما كانت تتوقعه، ولهذا قامت بإخفاء الدفتر سريعًا.

نظرات الوالد على المائدة، جعلت قلبها ينبئها، بأنها تشك بها.

رفعت عينيها من على دفترها، بمنتهى الثقة، وتنظر لوالدتها بحدة:

- في حاجة يا ماما؟
- لأ، ذاكري.

- حاضر.

غادرت الوالدة الغرفة، أسرعت حلا للاطمئنان بأنها ذهبت تأخذ قيلولة النهار كعادتها بجوار والدها.

قامت بإغلاق الباب بإحكام.

أسرعت لدفترها المدوَّن به تلك الكلمات، التي تشعر جميع حواسها بالرضا والسعادة، أخذت هاتفها، قامت بالاتصال لمجرد ثانية فقط على الرقم.

فهذا ما تعودت عليه؛ فهاتفها به خمسة جنيهات لا غير لو فقدت قرشًا، ستفتح عليها وابل الأسئلة التي لا ترحم، فهذا الهاتف للطوارئ القصوى فقط، وهذه الطوارئ للبيت، لا يحق لأحد سوى صديقتها الوحيدة حنين منذ الصغر التحدث معها.

جلست، وهي متيقنة تمامًا بأنه لن يعلم أنها هي، ولن يعاود الاتصال، ولِمَ يفعل؟ سيظنها أحدًا أخطأ، لو فرض ورأى رقمها على شاشته لم يطل حديثها مع نفسها حتى وجدت الرقم يعاود الاتصال، ارتجفت شفتاها خوفًا.

نبض قلبها بشدة، وأجابت سريعًا خوفًا أن يغلق، وقالت بصوت فَرِح:

- ألو.

* * *

أخذ جيتاره مخبئًا إياه سريعًا، كاد الخوف يخنقه ويوقف قلبه.

نظر إليه أحمد بدهشة من أمام الحاسوب، قائلًا:

- برضو هتفضل خايف كده، يابني ده فن، وماحدش ليه يتدخل في حاجة انت حابيها.

محمد، وهو يلتقط أنفاسه:

- أه، عشان بابا يتعصب.
- طيب، ما يتعصب، وفيها إيه يعني؟
- أنا مابحبوش يكلمني.

اندمج أحمد، وقهقه أثناء محادثته مع أحد الأصدقاء دون مراعاته لحديث محمد، مما زاد من استيائه، وجعله ينظر إليه بلوم، كاد يلفظ كلماته مؤنبًا لكنه تراجع، وهو يحدث نفسه.

كيف لك أن تشعر بي أنتَ الآخر، كُلٌّ منكم لا يشعر سوى بنفسه فقط، لماذا أنا بهذه الشخصية اللعينة، يجب أن أتغير، لابد لي أن أفعل. قريبًا سأفاجئهم بي، بشخصٍ يملك مثل هذا القلب المتبلد مثلهم.

أسرع إلى الخارج، والدموع تتحجر بعينيه، يرفض لها الرضوخ، لن تستطيع التغلب عليه تلك المرة، ولن تنهمر على وجنتيه، هذا أول تحدٍّ قاسٍ عليه، وسوف ينجح به.

* * *

تُكمِل حديثها بيدٍ ترتجف، وعينٍ تلمع، ووجهٍ مُضيءٍ بتوهج يزيد من سمرتها.

وقالت فَرِحة:

- أنا حلا.
- الله فرحتيني، إنك اتصلتي بجد.
- بجد؟
- أه والله.
- شكرًا.
- عارفة، إنك بجد انتي لفتّي انتباهي من أول يوم.
- ازاي؟

أكمل بصوت يخترق قلبها، وكأن أذنها ما هي سوى وسيلة اتصال مباشر للقلب، لَغى العقل بالكامل، وقال بنفس النبرة الرقيقة:

- انتي قمورة جدًا، وكل الشباب واخدة بالها منك.
- بجد، أنا؟!
- انتي ليه مش مصدقة، انتي يا بنتي كلك جمال وأنوثة، من عينيكي لحـد...

تلهفت لما سيقول أرادت أن يُثني على أنوثة جسدها، ولكن جاء كلامه مُخيبًا لآمالها، قال:

- إيديكي.

ابتسمت، فهي ما زالت تشعر بالإطراء، ولكن هناك نقصًا، ليست هذه العلاقة التي ترجوها،

هذه طفولة، وليست حب، الحب ليس هكذا ليس يديكِ وعينيكِ، الحب أعمق، أكثر إيلامًا، أعنف..

قاطع تفكيرها صوته:

- روحتي فين؟
- معاك.

أكمل حديثه، وهو يداعب مشاعرها برقة:

- بقولك إيه، إيه رأيك في استايلي؟
- مش فهماك؟
- يعني أنا شاب يعجبك؟

* * *

صوت أنين زوجها وهو نائم يقلقها، مضافًا لقلقها تجاه ابنتها، تساؤلها الصامت جعل النعاس يقاطعها.

ظلت مدعية للنوم، دون جدوى.

شعرت به يتحرك جانبها.

تطلعت إليه، وكأنها تريده أن يفيق، يكفيه نومًا، وجدته ينظر إليها بتساؤل:

- مانمتيش ولا إيه؟

- لأ.

نهض من نومه، وهو يتثاوب، وقال:

- مالك؟
- بنتك هتجنني.

استعد للخروج، وأخذ ملابسه من يدها، متجهًا إلى باب الغرفة، وقال:

- مالها؟
- اتعاكست، وهي رايحة الدرس، وأخوها ضرب الولد اللي عاكسها.
- طيب، وفيها إيه كل البنات بتتعاكس؟!

نهضت سريعًا متجهة بدورها لملابسه، تعدها له، وقالت:

- أنا نفسي اجوزالبنت دي بجد.
- تجوزيها ازاي، دي لسه في ثالثة ثانوي؟!
- ما انا متجوزاك قدها!

ابتسم بطيبة، وقال:

- أنا كنت هتجنن عليكي، واتجوزتك.

ابتسمت، وهي تستمع لكلماته التي مهما كبرت، تُشعِرها بإطراء حبه لها، وتمحو مرارة ألمها كونُه منعها من إكمال تعليمها، وقالت:

- أه.
- طيب لما يجي واحد بقى زيي كده؛ هنجوزها.
- بس مابيتقدمش ليها حد.

- بكرة يتقدموا، البنت حلوة، وإن شاء الله لما تخلص كلّيتها نفكر.
- لا كلّيتها، هفضل في قلقي ده لحد كلّيتها؟!
- اللي بتعمليه ده غلط.
- ما انت عارف ليه؛ أنا بخاف كده...
- عارف، بس ده مش مبرر نخلص منها.
- بس..
- خلاص بقى، هدخل الحمام والبس.

رضخت للأمر الواقع، فهي تعلم أن الحديث الآن لا جدوى منه، فلو هناك من يتقدم فقط وتقبل به، ويريحها من ذلك القلق الرهيب.

* * *

شعر بنوبة ضحك هيستيري، وهو ينظر للكلام أمامه.

هذه المرة ليس صديقه من يُرسِل إليه، بل حبيبته، هي من تجعله يصل لهذه الدرجة من السعادة.

ظل ينظر لهذا المربع الصغير، وما يحتويه من كلمات تلامس أوتاره.

ازاي بتحبني، وانت دايمًا تثبت إني مش مهمة عندك؟ كل مرة وجع، وألم، وهجر، كل مرة امشي ومش عاوزك؟ اللي بيحب حد، وجعه بيوجعه، القسوة مابتعرفش قلبه.

أسرع بالرد عليها مراسلًا:

- مين اللي ضحك عليكي يا عبيطة وقالك كده؟ أجمل ما في الحب عذابه، أنا اعذبك وانتي تجننيني بالغيرة عليكي، أجمل ما في الحب، أبقى هموت عليكي، واظهر إنك أصلًا مش فارقة معايا.

أسرعت بالرد:

- بغض النظرعن عبيطة اللي بموت فيها منك دي، يعني انت هتموت عليّا؟

- انتي شايفة إيه؟

- عوزاك تقولها.

- قلبي بيقولها.

- ماتجننيش يا احمد، قولها بقى.

ابتسم بخبث، وتابع:

- لأ.

- مش هرد عليك تاني، غيرلما تقولها.

- ماتقدريش.

- جرب؟

- أنا.. انتي، أنا.. روحك، أنا زي الدم في وريدك، لو بعدتي عني هتضيعي منِك..

- براحتك يا احمد، خلصت؟

- هنا؟

- ....

- ردي.
- ....
- مش هتردي.
- ....

انفعل واعتدل بجلسته، وظلَّ بنفس ابتسامته الغريبة، كتب وهو يردد كلماته:

- ردي على الموبايل.

(لم تُجِب)

عاود الاتصال مرة أخرى، وأيضًا لم تُجب!

- هنا، ردي يا هنا، هتخسريني.
- ....
- هنا، وحياتي ردي.
- ....
- بحبك .

شعر بثقه تملؤه، وهو يجدها تكتب إليه:

- أخيرًا.

تكلم دون عتاب، ولكن بجدية ملحوظة على وجهه:

- ماتعمليش كده تاني أبدًا.
- طيب يَلا نتكلم موبايل، واسمعها بودني.

- ماشي.

أرخى جسده، وهو يعود للوراء، يشعر بالنصر، كلمة منه فقط كافية لتجعلها ترضخ إليه، وهذا ما يجعلها للآن معه.

هَنَا نجحت أن تظل جانبه لجهلها بشخصه، لا تستطيع حل شفراته، يمارس لعبته الخبيثة معها، وهنا تكمن أعلى درجات السعادة داخله، ولو حدث وشعر بأنها ستنجح بحل لغزه سيختفي عنها، ويبعدها عنه كعادته مع كل شيء أحبه، واقترب منه.

* * *

(أخذت تفكر طويلاً، هو حقًا يعجبها والأكثر من ذلك انه استثناها هي دون غيرها، وطلب التحدث إليها).

قال: شكلي مش من نوعك المفضل.

توقفتها الكلمة:

- نوعي المفضل؟! أنا عمري ما كلمت حد أبدًا أصلًا.
- متأكدة؟
- انت بتشكك فيّا؟
- أصل يعني..
- إيه؟
- وافقتي تكلميني على طول.
- مع السلامة.

- استني بس.
- سلام.

أغلقت الهاتف سريعًا، وجعلته صامتًا، تشعر بالضجر، يا له من شخص غير ناضج بالمرة !

تذكرت ما قد يفعله، ويقوله بحقها.

لم تَعِر للأمر أهمية، يقولون ما يريدون، هي لا يهمها شيئًا.

فقط ستظل تبحث عن هذا الفتى، لامس الأعماق، لن تتسرع هذه المرة.

هناك أشياء تفتقدها، أشياء أكبر من أحبك، وأنتِ جميلة، ورائعة، لا، هناك ما تفتقده لا تشعر بلذة مع فتى يقول كلمات هادئة، تريد كلمات أقوى، كلمات صارخة صريحة، تريد الشعور بشعور مختلف، ستعمل على أن تحصل على هذا الشعور.

* * *

الغرفة المظلمة مرة أخرى يجلس بها وحده.

نائمٌ على سريره الشاغر، ليس به سوى هو لسنوات، إلا أشهر قليلة تؤنس وحدته سميرة، ويعود مرة أخرى لهذه الوحدة، ولكنه تأقلم وتعايش مع الوضع، لِمَ يشعر بالوحدة اليوم؟ فنظرته مختلفة اليوم بشكل يثير حفيظته!

ماذا جد؟

هذا وضعه منذ سنوات طويلة..

سميرة، ولم تتواجد وهذا الطبيعي، هل بحاجة لعاطفة؟أم بحاجة إلى مجرد شريك؟

ماذا يحتاج، ما الشعور الأكبر المسيطر على حواسه؟

نهض مرة أخرى خلع ثيابه، ارتدى ثياب النوم، لجأ لوسادته أخذها بين أحضانه، وحاول النوم، ولكن رغم إرهاقه كان النعاس عزيزًا عليه.

فوحدته اليوم قاسية بشكل مؤلم، يعذبه أنّه يشعر بالوحدة، مشاعره تعرف ما هو الألم؛ فهو شخص صلب، يمتاز بجمود شخصيته وقوتها.

هذا الضعف ليس لشخص مثله، لا يجب عليه أن يتسلل أبدًا لقلبه.

قال بصوت عالٍ:

- نام بقى يا أخي نام، أنا مشاعري مش هي اللي بتمشيني، المشاعر شيء مش موجود بحسباتي، إيه جد عليّا عشان احس بالضعف ده، إيه؟!

هل هو اشتياق، أم حنين لألفة كانت يوم بينهم؟ ولكن وإن عادت فهناك شيء فُقِد، شيء قوي لا يمكن استرجاعه، محبتنا..

ظل صراعه مع نفسه حتى غط بنوم عميق.

* * *

تستمع لصوتهما وهما يتسامران، وصوت ضحكاتهما يخترق أذنها، ويدخل لقلبها المزيد من الحقد والبغض لهما.

سيف: يا ماما البنات لوز، انتي اللي معقدة والله، وشكلي طلعلك بس أنا في حكاية الأخلاق.

الأم -بصوت لَيّن وابتسامة-:

- قليل الأدب، في ولد يقول لمامته معقدة؟

- أه، بتقولي مافيش بنات حلوة، دول البنات إيه ده كل يوم بيحلوّا وبيبوظوا برضو.

- هي، بيبوظوا دي اللي رعباني.

ضحك سيف:

- أيوة ورعباني أنا كمان، إلا ما في بنت أقول كويسة، وتطلع كده.

- ليه، كلهم وحشين أوي؟!

- الجيل ده يا ماما جيل زفت.

- هتقولي، ربنا يستر يارب.

تجلس ترقبهما، تسمع لكلماتهما، تحاول عدم التركيز معهما، فقربهما دومًا يؤلمها، فلِمَ تفتقد هي الأخرى هذا القرب بينهما؟

جفاء وقسوة عاشت معهما حتى اليوم، تتمنى من صميم قلبها أن تترك المنزل، وتترك والدتها وتهرب بعيدًا.

حاولت مشاهدة التلفاز، أي شيء يشتت تركيزها بعيدًا عنهم.

* * *

يتحسس جسدها بدقة..

يداعب خصلات شعرها المنسدل على ظهرها بحرفية عاشق.

يقبِّل عنقها باحتراف إلى أن وصل لشفتيها، قبّلهما بعنفٍ، وكأنه يلتهمهما، مع سخونة المشهد أمامها، ضربات قلبها تزداد، يصهد جسدها.

أغلقت التليفزيون سريعًا حين سمعت صوت شقيقها، وأخذت زجاجة المياه بيدها، وأسرعت لغرفتها، استوقفها قبل إغلاق غرفتها عليها صوت الوالدة طالبًا إياها.

تسمرت مكانها، كيف لصوت والدتها أن يثير ذعرها هكذا دومًا، ما هذا الحقد الذي يلمس أعماقها كلما سمعت صوتها.

ليس من الطبيعي ما يحدث معها!

ذهبت إليها، تركتها تلك المشاعر التي كانت تراودها منذ قليل، وقالت بصوتٍ خافتٍ:

- نعم؟

نظرت إليها مطولًا، ثم أردفت:

- عاملة إيه في المذاكرة؟
- كويسة.
- حد بيحاول يكلمك، أو يضايقك؟

صوبت الوالدة عينيها عليها بدقة؛ كي ترى تعبيراتها، وتجد ما تبحث عنه من شكوكٍ بها، ولكن ما هَدَّأ من روعها، كلمات حلا الهادئة، الواثقة:

- لأ، ماحدش بيكلمني، ولا بيضايقني.
- متأكدة؟
- أه، هروح اكمل مذاكرة.

سارت سريعًا نحو غرفتها مختبئة بين دفاترها، محاولة تذكُّر ذلك المشهد بمشاعره المتأججة، وبالفعل بمجرد أن بحثت بمخيلتها؛ وجدت المشهد أمامها، وكأن لم يحدث ما قاطع تلك المشاعر الجياشة.

أمسكت هاتفها، قامت بالضغط على أرقام عِدة، ضغطت باتصال على أرقام تجهل هوية أصحابهم، لا تعرف ما تريد، فقط تلهو.

* * *

يعزف بأنينٍ على جيتاره، بصوتٍ خافت، يُدندن من أعماقه، بكلماتٍ يملؤها الألم.

- هتغير، لازم أتغير.

هكون غيري واتعلم، ازاي أتألم.
هعلّم قلبي القسوة؛عشان بينكم أعيش.

التفت أحمد إليه بعد أن أغلق حاسوبه، وجلس على سريره المقابل له، أبصره بقوة، متسائلًا لِمَ بكلماته ذلك الحزن، ونبرات صوته العميقة، يملؤها الألم؟ وقال:

- مالك يا محمد؟

جاهد طويلًا، حتى لا يضعف أمامه، فتلك الكلمة بهذا الوقت كفيلة أن تغمر وجنتيه بدموعه الغزيرة، وضع جيتاره بجانبه، وأراح جسده على سريره وأشار وهو ينظر إلى السقف:

- تفتكر، إيه شعور الإنسان لما يكون قلبه قوي؟
- قوي، ازاي يعني؟!
- قاسي مثلًا.
- تقصد إيه بمعنى القسوة؟ أنواع القسوة كتير.
- أنا أقصد القسوة اللي من جوة الأعماق، اللي بتخليك ماتتألمش عشان حد، كلامك حاد، وواحد مابيتغيرش مهما كانت الضغوط، وماتتوجعش عشان حد مهما كان.
- تبقى زيي يعني؟

نظر محمد لشقيقه بتمنٍّ، وقال:

- ياريت.

استلقى أحمد بدوره هو الآخر، وقال بثقة:

- ده مش شيء كويس أبدًا على فكرة، ده شيء مؤلم لأقصى حد، الألم اللي جواك ده بيوجع فعلًا، إنك تبقى كاره الكل، مش باقي على حد ده شيء بيموتك، وبيدفن مشاعرك اللي بالتدريج مش هتعرف تلاقيها جواك، هتنتهي للأبد.
- بس بتخليك قوي، ماحدش يقدر يضايقك.
- مين قالك، هو أنا مش بتضايق؟

- أه.
- بالعكس أنا بتعذب جدًا، وأحيانًا بكون كاره حياتي، ونفسي اهرب من نفسي.
- ازاي، وكلامك مع ماما ببرود، وبابا بتقف قُدامه بقوة؟
- لا، دول هما اللي زرعوا كرههم ده جوايا، أم دورت على المرتب الكبير، والمكانة العُليا وسابتنا، وأب كل اللي يهمه اسمه، ويبقى أكبر محامي في البلد، وفعلًا أنا مش بحبهم مش فارقين معايا أصلًا؛ لإني مافارقتش معاهم.
- بس هما بيحبونا يا احمد، وتردد قليلًا، ثم تابع: على الأقل ماما.
- لأ، لو بيحبونا ماكنوش سابونا نربي نفسنا، محمد، انت ربيت نفسك، أنا ربيت نفسي، احنا مالقناش حد جمبنا يوجهنا فين صح وفين غلط، كل اللي بينا سؤال كل فترة عاملين إيه، كويسين؟ طيب تمام.
- بس ماما طيبة.
- لأ، ماما أنانية، دورت على نجاحها وبس.
- وده وحش؟
- أيوة طبعًا وحش، ماتستحقش لقب الأمومة، احنا مالقناش لا حب، ولا اهتمام، ولا رعاية.
- يعني عمرك ما هتحب حد أبدًا.
- ليه عمري؟ ما أنا بحبك، وبحب هَنَا.

ابتسم محمد ببلاهة، وهو يقول:

- أيوة، هَنَا حب من أول نظرة، أول يوم في الجامعة ليّا هِنا، أنا مش مصدق العلاقة اللي بينكم!

ابتسم أحمد بدوره في هدوء، مرددًا:

- أنا فعلًابحبها، بس هي كمان ممكن اسيبها.
- ليه ممكن تسيبها؟!
- لو عرفتني، لو فهمتني.
- ما انا عارفك، وفاهمك.
- انت أخويا، انت أصلًا اللي ليّا في الدنيا دي، ومستحيل شيء يفرق بينا.
- بجد، أنا غالي عندك يا احمد؟!
- انت عبيط؟! طبعًا غالي وجدًا أنا أصلًا مش بحب حد غيرك ماسمحش لحد يشوفني ويعرفني غيرك برضو، انت وبس يا محمد اللي كل أهلي.
- وانا كمان، بحبك أوووي، ومابحبش حبك لهنا.
- ليه؟!
- عشان مابحبش حد ياخد اهتمام منك غيري، بس عارف..
- إيه؟

نهض محمد، عيناه تخترقان شقيقه بهدوء:

- نفسي اجرب الحب ده.
- هتجربه.

تحرك محمد متجهًا للحاسوب، وقال:

- هقعد شوية على اللاب.
- ما تذاكر، انت آخر سنة خليك تجيب مجموع كويس.

- أنا أخري آداب، أنا مش زيك، وانت عارف الهندسة دي لها ناسها.

كانت لهجة أحمد جادة:

- طيب، اعمل اللي يريحك، بس بلاش البنات الأجانب اللي بتكلمهم دول.

عرق جبين محمد ونظر بدهشة، منافيًا لما يقوله أحمد:

- انت بتقول إيه؟

كان أحمد ما يزال ساكنًا على سريره، وأكمل بنفس نبرته الواثقة:

- أنا بعرف كل اللي بيحصل على جهازي يا محمد، أنت لسه صغير، بلاش.

حنق محمد بشدة، وتجاهل تلميحاته، لا يستطيع مواجهته، فحقًا لو كان يعلم، ماذا يجب عليه أن يفعل، هل من الممكن أن يشاهد ما يقول هو وهؤلاء الفتيات!

أجل، بالطبع وإلا ما قالَ ما قال.

تبًا لهذا الحظ، وتبًا له كيف انتبه لهذا؟!

فهو يعلم مدى إتقان شقيقه لهذه التكنولوجيا اللعينة.

أخذ يبحث بإصرار داخل الحاسوب، ويرى كم من المحادثات مخزن وأيًا منهم.

* * *

تستمع حلا لحديث والدتها مع والدها كعادتها متلصصة من وراء باب غرفتها.

الوالد: يعني إيه أوافق؟ لأ، طبعًا.

الأم بكل إصرار، وترجٍّ:

- بالله عليك خلينا نجوزها، كان قلبي حاسس شوفت كنت لسه بس من يومين بقولك إيه؟ وانت بتقول مبسوط، وبعدين انت بتقول خلوق، وبيصلي في الجامع، ومحترم وصاحب مصنع زيك، وبتقول كمان مصنع أكبر مننا.

- يعني ابيع البنت يا زهرة؟

وضعت كوبين من الشاي على منضدة صغيرة أمامهما، وجلست جواره، أصبح الصوت منخفضًا، لم تَعُد حلا تسمع بوضوح كالسابق، حاولت قدر المستطاع الاستماع، فهي تتمنى أن يقبل الوالد، سمعت الأم:

- ليه بس؟ دي فرصة كويسة للبنت، بلاش تفكر فيها كده.

- لأ، هفكر كده يا زهرة، البنت فعلًا كده هبقى ببيعها.

تتمنى الخروج إليهما، تتمنى أن تقول وافق يا أبي.

ولكنها عادت للداخل، وقفت أمام مرآتها، دققت بملامح وجهها، محدقة بأجزاء جسدها، وأخذت تقول بضعف:

- أنا عاوزة اتجوز، أيوة انا عاوزة اسيبهم، وامشي من هنا، أنا عاوزة بيت اكون انا السيدة بتاعته، نفسي اسيب ماما دي وامشي من هنا، بكرهها.

* * *

تعود من الخارج بعد أكثر من عام على منزلها الجديد بالقاهرة، وترك مدينة الزقازيق.

بعث يوسف سواق خاص لها أتى بها للمنزل.

يصادف اليوم أيضًا ظهور نتيجة ابنها الأصغر، محمد .

اليوم سيحدد بأي جامعة سيكون، اليوم أتت بعد كل هذه الأيام ومشقة الشهور، كي ترتوي بحنان ابنيها، وعطف زوجها.

تصاعدت الدماء بوجهها عندما لمست التبلد باللقاء منهم جميعًا سوى محمد، الذي لم يكن أيضًا كسابق عهده، كان سلامه أقل لهفة.

قال يوسف -والجميع جالسون بالغرفة حول سميرة وتعلوها نظرة مليئة بالخيبة -:

- يلا يا ولا على غرفتكم خلوا ماما ترتاح شوية.

ابتسمت سميرة نصف ابتسامة، وداخلها ينتظر بقوة أن يرفض أبناها، ويصرّان على البقاء، لاشتياقهما لها، لكنهما خيبا أملها، انسحبا بمنتهى الهدوء.

كان الطقس باردًا جدًا، وعلى الرغم من ذلك كانت تشعر بالسخونة الشديدة بجسدها، الدموع التي لاتتركها مهما كبرت، ونضجت تظل أسيرة لها، تؤلم عيناها بقوة.

توجهت إلى حقيبة من الحقائب الخاصة بها، وأخذت ملابس النوم، واتجهت للحمَّام، وعندما اقتربت، التفتت بهدوء قاتل محدقة بيوسف:

- هغير هدومي، واجي نتكلم.

أومأ برأسه، لها علامة موافقة على انتظارها.

* * *

تنهد محمد بعمق، وهو ينظر "للتاب" بيده بسعادة غامرة:

- تحفة واللون روعة يا احمد.

لم يهتم أحمد بما يفعل شقيقه، بالرغم أنه تضايق كثيرًا عندما سأل والدته عن الأجهزة التي قاما بطلبها. سمع صوت محمد وهو يقول فرحًا:

- الله..

شوفت موبايلك حلو أوي ازاى، ولا التابلت بتاعك بجد ماما دي عسل.

تجاهل أحمد ما يقوله محمد، انخرط مع هنا بالحديث. فيبدو عليه الانزعاج، ومن سوء حظها كانت فريسته التي ينفس بها عن غضبه من والدته، وبدأ هذا الحديث من خلال مربع صغير داخل موقعه الإلكتروني(فيس بوك)، وكتب:

- بتعملي إيه، وكنتي فين من ساعة ما كلمتك؟

كان عندنا ضيوف.

- ضيوف مين؟
- ناس ماتعرفهومش.
- أه، يعني شيء مايخصنيش صح.
- أنا مقولتش كده.

- طيب امشي، أنا أصلًا غلطان إني داخل اكلمك.
- ليه المعاملة دي، اناعملتلك إيه؟!
- ....
- رد عليّا يا احمد؟
- ....
- يا احمد، أنا تعبت من قسوتك دي، حرام عليك.
- خلاص ارتاحي مِني، وسيبيني.
- انت كل شوية تقول كده؟
- ....
- بسيطة عندك، يعني نبعد بعد كل الحب ده.

ببساطة تبيع وتقسى، عادي تخون العهد، والمشاعر بينا تهون، وابقى بالنسبه لك مجرد حد، رد يا احمد.

- بس، ارحمي انتي مش حافظة غير الكلمتين دول، اقفلي.
- أنا يا احمد، بتكلمني انا كده؟!
- ....
- أحمد؟

صدقني لو ماردتش هقفل، ومش هتكلم معاك تاني أبدًا، وانت عارف كلامي.

تركها تُحدث نفسها، وقام بأخذ مفاتيح سيارته،مودعًا محمد استعدادًا للخروج.

محمد باستغراب:

- ولما بابا يسأل عليك يا احمد؟
- مش هيسأل.
- افرض سأل، أقول إيه؟
- قولتلك مش هيسأل، يَلا سلام.
- طيب، هتروح فين؟
- هلف شوية بالعربية، لو فضلت في البيت هتخنق.
- طيب.

* * *

بدأ محمد مراسلتها، حين وجد البيت خاليًا تمامًا.

ابتسم حين وجد كلمات تظهر بشاشته..

- اشتقت إليك محمد.
- اشتقت إليكِ أيضًا جوليا.
- كيف حالك مصري؟
- جيد، وأنتِ عزيزتي؟
- مممم، بخير.
- سؤال لك محمد..؟
- متى ستأتي إلى أمريكا؟
- بعد شهرين.
- أخيرًا سأراك، سيكون حبنا حقيقيًا.
- أجل، لا أستطيع الانتظار أكثر..

- أتعلم عزيزي محمد، لا أستطيع إخبارك بما حدث معي الفترة الماضية، حين عَلِمَ أصدقاء لي أنَّني أحب عربي مسلم.
- ماذا؟!
- هاجموني.
- أخشى كثيرًا من المجيء؛ فيبدو أن الناس لديكم لهم طريقة خاصة بالتفكير، وأخشى من رد الفعل.
- أخبرتك محمد أنّه يجب أن دع خوفك هذا جانبًا، لا يمكن أن تظل خائفًا هكذا!
- هذا أنا جوليا، ولقد عرفتني، أخشى الكلمة التى تجرح شعوري، أكره النظرة إن كانت بغيضة.
- حسنًا، محمد لا تحزن، أكره هذا الشعور بكلماتك، وأنتَ تعلم.
- آسف عزيزتي، ولكن هذا رُغمًا عني، حقًا رغم سعادتي للقائك، إلا إنني خائف جدًا
- أنا معك، وأحبك.

(بدا محمد غير مرتاحٍ، وتفحص محمد الحديث، وهو يتذكر كلام والده).

- محمد هيكمل تعليمه برة، ماينفعش يدرس هنا، محتاج حد ينشطه.

أحمد: يا بابا، سفر برة مش أفضل، أصلًا إنه يبقى لوحده مش الحل الأفضل، مش هو كمان لازم يبعد، ويبقى كل حد فى مكان.

حاول يوسف كبح غضبه، كي لا يظهر حنقه من طريقة تحدُّث أحمد، وقال:

- وهما يفضلوا جنبنا ليه، إيه الحساسيات دي؟
- يعني أنا وحضرتك نعيش لوحدنا، فين حرية الرأي هنا، يَلا ننقل ونبعد عن بيتنا ومديتنا.. حاضر، يَلا نعيش في بيت غريب ولازم تتعودوا عليه بسرعة.. حاضر، يَلا ماما هتسافروتشتغل.. حاضر، يَلا هتنقل جامعتك وتبعد عن أصدقائك اللي ليك معاهم عُمر وتتعرف على أصدقاء جديدة... حاضر، حاضر، حـاضر.

أصبح يوسف حاد النبرة الآن:

- انت بتتكلم.....

بتر حديث يوسف من على شفتيه، وتحدث محمد وقتها بعفوية، وسعادة تملأ عينيه:

- أيوة، انا عاوز أسافر.
- لما مامتك تيجي نقولها.

أحمد والألم يعلو وجهه، نظر وقتها لهما، وتركهما دون أن ينبس بكلمة واحدة.

تذكر محمد ذلك الموقف، وتذكر بأن أحمد لا يحب بهذه العائلة سواه، الآن يدرك مدى ألم شقيقه، حقًا، هو يحبه أكثر من الجميع، ولكن كيف له ذلك وهو دائمًا قاسٍ.

يتمنى لو يستطيع أن يكون بتلك الشخصية يومًا، لو فقط يكون قاسيًا جريئًا، لا يهاب أحدًا.

وقال بتحدٍّ، وهو ينظر لحاسوبه:

- لمّا اسافر أمريكا هتغير؛ هتعلم المعاملة الإنجليزي، أنا متأكد إني هتغير، هتبقى صفحة جديدة، وهرجع لهم هنا إنسان قوي زي بابا واحمد.

وبعينٍ كلها إصرار:

- أنا متأكد إني هعمل كده.

* * *

ركن سيارته أمام أحد الأرصفة، واقترب من الكوبري، وظل ينظر للماء.

بروح متألمة، وقلب يشوبه السواد، وعينان يملؤهما اللوم، حاول عبور السور، ورفع يديه بحرية، وصرخ بأعلى صوت لديه: سيبوووووني لوحدي.

حلا من داخل التاكسي تتحدث بصوت عالٍ:

- واحد هينتحر، الحقوا، وعينها ترقب أحمد من ظهره وهو متأبط السور.

سيف يقول بإشارة هادئة، وبلهجة ساخرة:

- ما ينتحر واحنا مالنا.

توقف سائق التاكسي بهرج على الكورنيش، وأسرع نحو أحمد، وأمسك به من ظهره،وتقدّم بعض الأشخاص منه، محاولين تهدئة أحمد، ومنعه من تلك المحاولة الخطرة.

ظل أحمد يقول، وظهره لحلا:

- أنا ماكنتش هنتحر، أنا بشم هوا يا جماعة ماكنتش بنتحر والله.

قال سيف بنفاد صبر:

- أوف من العطَلة، لازم تتسحبي من لسانك، اهو التأخير كله هيجي على دماغي انا، هتأخر على صحابي، أنا خلاص مابقاش ورايا غيرك انتي ومشاويرك، خلصنا من دروسك بقى زفت مشاوير.
- زمَّت شفتيها، وتنهدت ببطء:
- أنا عملت إيه بس لكل ده؟
- مش انتي اللي اتكلمتي يا زفتة، وخليتي الراجل ينزل؟
- مش كان واحد بيموت!

نظر سيف، فوجد السائق يقترب منهما:

- طيب، اخرسي بقى السواق جاي.

عقدت حاجبيها بحزن، والتفتت إلى الوراء تنظر لأحمد الذي نظر تجاهها بعد أن حُجِبَت الرؤية عنها، ولم تَعُد تستطيع أن تميز ملامحه.

- أكيد اللي بيموت بيرتاح.

قالت كلمتها بصوتٍ عالٍ، فاخترقت أذن السائق، وشقيقها الذي زفر بضيقٍ، وهو يسمع السائق يقول:

- موت إيه بس يا آنسة، انتوا لسه روحتوا ولا جيتوا؟ ليه الجيل بتاعكم حابب الموت كده؟!

جاوبه سيف-بصوت خفيض-:

- بصراحة يعني الموت واحنا صغيرين أفضل، إيه فى الحياة دي يخلينا نبقى عليها!
- ليه يا ولاد بس، فيها أهل، فيها حب، ومستقبل، وجواز، وحياة جميلة بعد كده، اتعشموا في بكرة خير، بلاش النظرة المأساوية دي.

ابتسم سيف، وهو يتساءل بسخرية:

- حضرتك خريج إيه؟ مش عاوز أقولك ياعمو شكلك مش كبير.
- لأ، انا عندي اربعين سنة كبير، ومتجوز، ومعايا اولاد، وخريج تجارة.
- طيب، وشغال إيه!

أحنى الرجل رأسه بضيق، وقال:

- بس بسعى، وسعيد، ومش ندمان إني بحاول، ماحطتش إيدي على خدي، وقلت أصل الظروف والبلد مش مساعدين.

تنهد سيف بهدوء، وقال:

- طيب.

وساد صمت طويل، ونظرات حلا تتابع السائق من المرايات الصغيرة بالسيارة، وترى وجهه العابس.

* * *

وقف يحدق حوله وساد صمت مميت داخله لدقائق، وكأنّه يستعيد وعيه اتجه لسيارته وصعد بها، أدار المحرك بملل، تضايق؛ لإن حتى محاولته أن يعيش طليق، يحاول الكل سلبه إياها.

يومًا عن يوم يشعر بأن هذه الحياة بائسة لا تستحق العيش، ولن يدعهُ أحد يعيش مثلما يريد، شعب متخلف بطبعه، لابد والتدخل بشئون الغير، متعته الوحيدة أن يكون على حُرّيته، فتُسلَب دومًا منه!

هجم الظلام، وهو يدور بشوارع القاهرة تحديدًا بالهرم، أصوات الملاهي الليلية تعلو، فتيات تتمايل بخلاعة.

سمع إحداهن تقول:

- بس بس، بقولك يا ابو عربية، ما تيجي يَلا نطلع المقطم، هيهيهيه.

انفعل من طريقتها، وطريقة مضغها العلكة، وشعر باستياء، وأسرع بسيارته، حتى كاد يصطدم بإحداهن، ليهدئ من سرعته.

وقفت تهاجمه:

- مش تشفتح يا حيوان، جاي تشموتني؟!

ترجَّل من سيارته، أسرع إليها، والذعر يملأ عينيه:

- أنا آسف، سامحيني، معلش.

ابتسمت حين رأته، وأرخت الطرحة التي تستر صدرها، وقالت:

- ياختشي عين أمه حلوة، انتش حلو كتشده ازاي، ما تشجي نروح شقتك؟
- لأ، تُشكري، بعد إذنك.
- لأ! انت الخسران، ده انا هعيشك في عالم تاني، وهاخد متشين جنية بس.
- شكرًا.

أسرع إلى سيارته مرة أخرى، وهو يلوم نفسه ما الذي أتى به إلى هنا.

- إيه اليوم الزفت ده.

قالها وهو يضغط بيديه على مقود السيارة، ويحاول تجاوز هذا الشارع الذي يعج بملاءٍ ليلية.

* * *

تجلس على كرسي أمام المرآه تمشط خصلات شعرها، ترتدي قميصًا جذابًا يظهر مفاتن جسدها، فمازال يتمتع بأنوثته رغم سنها.

رأت عينيْ يوسف تراقبها، كان لا يزال يجلس على كرسي بجانب الغرفة، تنفس عميقًا، وقال:

- انتي مش هتسافرى تاني يا سميرة..

دق قلبها سريعًا، تفحصته بعين سريعة، أخيرًا ستجد ما يروي عطش كل هذه السنين، الآن سيقول لها بأن حياته فارغة من دونها، قالت بلهفة:

- حاضر

أصبح يوسف ليّن النبرة، وقال:

- ماسألتيش ليه؟ وماعترضتيش يعني؟!
- وحشتوني يا يوسف، وحشني جوزي واولادي، وحشني دفء العيلة، واعتقد إننا عملنا كل اللي كنا بنتمناه وأكتر.
- أيوة، وانا كمان بيصعب عليا انام في السرير لوحدي، بس بصراحة ماتخيلتش إنك هتوافقي بالسهولة دي، أنا قلت بما إنك هتبقي على درجة مديرة، مش هتسيبى الشغل.
- أنا ممكن ابعد عن أي شيء وأي حاجة، واتنازل عشان ارجع احس بالقرب بينا.
- ....
- تعبت أوي وانا لوحدي، تعبت لدرجة قلبي وجعني من الوحدة، لَام عليّا إني بعذب فيه، هو مالوش ذنب في مطامع الحياة.

ابتسم يوسف، واقترب منها، وقال بنعومة، وهو يجذبها من يديها لتقف قباله:

- وحشتيني.

لم تصدق ما ترى، ولم تسمع، هذه النبرة الرقيقة ليوسف؟! يوسف دون غيره، حقًا هو ما يجذبها من يديها الآن ويدللها، ويقول لها بأنه اشتاق

إليها، ياالله! هل ستكافأ أخيرًا، هل ستشبع رغبات قلبها وجميع حواسها بحبٍ غاب منذ بعيد عنها؟

غابت بين أحضانه، ذاقت ولأول مرة منذ أمد بعيد هذه العاطفة الجياشة، شعرت بهذا القرب بينهم.

* * *

ابتسمت حلا، وهي تتحدث بهاتفها الخلوي:

- أيوه بجد، انت وحشتني جدًا.
- وخطيبك؟
- فكك منه ده عيل كده، مش عارف يحتويني.
- بتحبي فيّا إيه يا حلا، وأنا اكبر منك بكتير؟
- بحب ده، إنك أكبر مني بكتير.
- ضغطت على شفتها السفلى، وتابعت حديثها:
- ده غير إنك فعلًا بترويني، بتعرف تدوقنى اللي نفسي فيه.
- قهقه صوت الشاب عبر الهاتف، وقال:
- بتحبي إني بعرف أثير أنوثتك، صح؟
- مممممم.
- صح؟
- بصراحة، أيوه.

قاطع حديثهم، وكأنه تذكر شيئًا ضخم، مما أثار استيائها منه:

- انتي عملتي إيه في نتيجتك صحيح، هتدخلي إيه؟

- هدخل هندسة.
- ردد بصوت خافت:
- كل يوم المسافات بينا بتكبر.

زمت حلا شفتيها، وقالت باقتضاب:

- مسافات إيه، ده وقته؟
- مسافات خطيبك، والسن، والكلية، أنا كلية حاسبات ومعلومات، تفتكري ممكن؟
- رُغمًا عنها ابتسمت، وهي تلمس بنبرته الحسرة عليها، هي تعشق هذا، حاولت استدراجه؛ لتسمع ما يروى ظمأها:
- بتحبني، ونفسك اكون معاك وبتاعتك، كلي مِلكك وبس؟
- هتجنن عليكي، هموت والمِسِك بإيديا... مش مجرد نشوة تليفون، عاوزك ليا ومعايا.
- أطلقت لخيالها العنان، الآن سيروي ظمأها؛ بالرغم من أن ما بينهم مجرد محادثات فقط، فلم يراها ولو لمرة، فقط اتصال خاطئ منذ حوالي الشهرين، كانت تفتعله كعادتها، وكان هو من ضمن سعداء الحظ الذي دام معها، لحُسن تلاعبه بمشاعرها، كانت وقتها تعاني من وحدتها، وتقصير خطيبها معها والتزامه الزائد الذي يُعيق رغباتها، الذي لا تشعر معه باللذة التي تتمناها مثل هذا الشاب، الذي يملك تلك الخبرة لتعامُله مع فتيات كُثَر، فعرف كيف يلمس أوتارها.

* * *

يجلسان داخل النادي.

المكان ممتلئ بالأصدقاء(أصدقاء محمد وأحمد).

يحمل جيتاره، يحثه الجميع أن يشدُوا لهم أغنية لأحمد سعد، فصوته يشبهه بشكلٍ كبيرٍ، ويملك نفس الألم بإحساسه.

تحدث صديق أحمد:

- يلا يا محمد بقى، إيه يابنى الذل ده؟

أتى أحمد بعد أن أنهى محادثته مع هنا.

وجد أحمد الجميع يرجو محمد أن يغني، ابتسم، وقال:

- محمد، انا عاوز الأغنية اللي بحبها.

محمد بابتسامة:

- الناس زهقت من كتر ما بغنيها يا احمد.

قال الجميع بإصرار:

- لاااا غنيها، هنسمعها.

تناول محمد جيتاره، وبدأ يدندن حروفه بصوت يلمس أعماقهم:

- حاسس بخنقة وضيقة، حاسس إن انا بتهد
في ناس من براها بريئة، بس من جواها تخض
هو إيه اللي حصل في الدنيا؟
أنا حاسس إن انا موجوع عمال بتعذب
أنا بنزف من بره، ومن جوه دموع

وبدأ أحمد ينفعل مع كلماته ويقول :

بعدك مش هيموتني، لا بالعكس
ده انت حيبتني، كل حاجة بك ربطتني
خلاص قطعتها، انت بجد جرحك ليا علمني
ماعلمش عليا، ووقفني على رجليّا خلاص كلامي انتهى.

صمت محمد عن الغناء، وحوَّل الجميع نظره باتجاه أحمد بتساؤل، وتحدث صديق من أصدقاء محمد:

- ليه يا احمد بتحب الأغنية دي، في حد ألمك وخانك؟
- أه.

اندهش محمد بشدة من رد شقيقه، وقال:

- بجد يا احمد، مين؟!

- مش لازم حبيبة، في جرح أهل، جرح أصدقاء، الخذلان مؤلم، وبيوجع قووي وأشده ألمًا لما بيكون من حد المفروض إنه يكون أحن إنسان عليك.

استطاع محمد أن يترجم أن المقصود بكلام شقيقه والداه، تألم لأجل الحقد الكامن داخله تجاههم وصمت.

* * *

كانت حلا تجلس على قُربٍ من خطيبها بإحدى شُرفات المنزل يتنسمان سويًا، هواء الليل العليل.

أخذ عمر يردد بأنه سعيد جدًا اليوم لأنها حصلت على علامات جيدة هكذا ستكون مثله بكلية مرموقة، وهذا عطف كبير من رب العالمين، ساندها؛ كي لا يقولون أنه بسبب خطبتهما لم تنل علامات مرتفعة.

- انتي كده هتدخلي هندسة زيي، أنا سعيد أوي بجد، الحمد لله.

أحنت حلا رأسها وتجاسرت تقول:

- وهيفيد بإيه؟
- مش فاهم، مالك؟
- مش هنتجوز، خلاص؟
- وده يضايقك؟

لم تعلق على ما قاله - كان واضحًا أن الحديث عن الزواج يربكها- وتساءلت لو حقًا تمت هذه الزيجة، ماذا سيحدث؟ فهو لا يشبعها بما تريد، هي تريد أحدًا آخر، ليس هذا فتى أحلامها.

تريده رجلًا، وإن كان بعمرها، ولكنها تريد شخصية قوية، حالمة، تريد أحدًا لم تقابله بعد في كل من أمكنها العبث معهم، لم يكن يومًا أحدًا من زملائها، أو ممن حاولوا الوصول إليها عبر الهاتف، سوى هذا الفتى، يا للهول كيف يستطيع اللعب على أوتارها باحتراف.

بلع عمر ريقه، وهو يقول بنعومة:

- حلا، انتي مش سعيدة بجوازنا؟

شدت حلا قبضتها على سورالشرفة، وقالت:

- مش عارفة.

تنهَّد عمر:

- مش عارفة يا حلا؟! أد إيه ردك مؤلم.

- ....

- راح فين حبك ليّا، فين فرحة إننا هنتخطب، ده انا حبيتك من حبك وتعلقك بيّا؟!

- موجودين، وانا بحبك، بس في شيء ناقص.

- والشيء ده ظهر إمتى؟

- مش عارفة.

- لأ، انتي متغيرة، وانا بكدّب نفسي بقول أكيد أوهام بس انتي فعلًا اتغيرتي، في حاجة مغيراكي، مش بتكلميني زي الأول، ولا بتسهري معايا على التليفون، وجودي أصبح مشقة عليكي.

توقفت حلا، لِمَا شعرت من عذاب في صوته:

- لأ، أنا بحبك وعوزاك، حقيقي عوزاك، بس برضو مش عاوزة نتجوز، حاسه إني لسه صغيرة قوي يا عمر، افهمني.

تعرق جبين عمر، وقال بلهجة متهكمة بعض الشيء:

- إمتى حسيتي إنك صغيرة، أول ما اتقدمت كنتي بتقوليلي يا ريت نتجوز النهاردة مش بكرة، فاكرة ازاي زعلتي لمّا باباكي قال لما تخلصي الثانوي، مافيش جواز قبلها؟؟

- أه.

- ليه اتغير دلوقتي؟

- إني ادخل الجامعة، ماقلقش إن في عائق بيني، وبين دراستي.

- وانتي عارفة إن عمري ما هعمل ده؛ لإني بحبك، واحب إن مراتي تدخل كلية مرموقة على الأقل زيّ.

ابتسمت محاوِلة أن تجعله يتناسى هذا الحديث المؤلم، حقًا عمر لا يستحق سوى كل طيب، فهو شخصية جيدة تستحق الاحترام دومًا.

* * *

وجوده بجانب أصدقاء جُدد، يجعله يشعر بالثقة.

فهم لا يعرفون شخصه وضعفه، يمارس القوة وهذا ما يلاحظه أحمد كلما تواجدوا معهم، ليتساءل أحمد:

- محمد، ليه بحس إنك بتحاول تعيش شخصية غيرك؟

قال بصوت تخنقه العبرات:

- ده حقيقي، أصدقاء لسه جداد وماعرفهومش، بحاول اقنعهم، واقنع نفسي اني قوي ومغرور، ومش أي حد يقدر يتكلم معايا، ومجرد اني بقعد معاهم، وبغني ده مايحلموش بيه.

كان تعليق أحمد فيه تهكم بعض الشيء، مما زاد من حنق محمد، وأردف:

- بس ده مش صح، انت لو عاوز تبقى كده، لازم تكون أده؛ عشان ده قرار مش مجرد تمثيل؛ لإنك هتتعب.
- خلاص يا احمد لو سمحت، أنا فعلًا اتغيرت، وبثبت ده ليا قبل أي حد.
- طيب.

أطبق فهمه بغيظ، وأدار وجهه عنه، وهو يُلوحِ بيده إلى أصدقائه من بعيد؛ كي ينضموا إليهما.

* * *

تسارعت الأيام في المضي، أسبوع، أسبوعان، حتى اكتمل الشهران على رجوعها لمصر.

عادت تشعر بالوحدة مرة أخرى، حياة رتيبة، انغمس يوسف بين دفاتره من جديد، وابتعد تمامًا عنها.

أحمد معاملته لها دومًا حادة، أسلوبه عنيف، يجعلها تسرع بالهروب من التواجد قربه، على الرغم من اشتياقها له، ولكن هذا الفتى ما هو سوى نسخة مصغرة عن قسوة، وتبلد قلب والده.

وصغيرها يستعد للسفر، الآن سيتركها ويرحل.

هذا الفتى صاحب القلب الحنون، بعد رحيله ستشعر بوحدة أقوى.

خطرت ببالها فكرة، فقررت الذهاب على الفور إلى مكتب يوسف، ومناقشته بها، طرقت على باب الغرفة بحذرٍ.

سمعت صوته الهادئ يقول:

- اتفضلي.
- مساء الخير.
- مساء النور، اتفضلي يا سميرة.

حدَّق يوسف في وجهها للحظة، وقال وهي تجلس أمامه:

- مالك؟

هزت رأسها، وباندفاع مفاجئ قالت:

- يوسف بصراحة، ومن غير ما اتكلم كتير واضايقك، أنا عاوزة ارجع لشغلي تاني بعد إذنك.

كان تعبير يوسف غامضًا:

-    روحي حضّري الغدا يا سميرة، ورايا ميعاد مهم بعد شوية.

أومأت سميرة برأسها بخذلان ولم تجبه، فهي تعلم جيدًا أنّه لن يتحدث سوى إذا أراد ذلك، انسحبت بهدوء إلى الخارج، وخيبة الأمل تملؤها.

* * *

جاءت لحظة الرحيل التي كان يخشاها أحمد.

فلم يقبل أن يودع شقيقه، أغلق عليه غرفته ورفض أن يقوم بإرساله، الآن سيصبح وحيدًا وإلى الأبد.

ذهب محمد من باب الغرفة، وأخد ينظر لشقيقه باستغراب، وأيقن أيضًا بأن الموقف ليس اعتياديًا، لم يكن معتاد على الوداع، وخصوصًا وداع شقيقه الذي يعتبره -برغم الفارق البسيط بينهما- والدًا له، ومثلًا أعلى بكل شيء، ويطمح أن يكون مثله يومًا ما.

سار بسرعة نحوه، طبع قبلة على جبينه، وقام بوداعه، والدموع تملأ عينيه، ثم غادر الغرفة سريعًا.

استدار أحمد،وشعر بكآبة شديدة تغمره، كان يتمنى أن يعانق شقيقه، تمنى هذا بقوة، ولكن شيئًا ما بداخله منعه، هو لا يقبل بما يفعل، لا يعترف مطلقًا بتلك المشاعر المتألمة تجاه شخص هو من أراد الرحيل برغبته والابتعاد عنه، رغم علمه أنه لا يحب بتلك الحياة سواه.

لو فقط تعرف الدموع عينيه، لأصبحت وجنتاه الآن مليئة ببحرٍ يغرق به.

* * *

تقف بنافذة غرفتها، تنظر للقمر، وتتساءل داخلها: يا ترى بين كل الناس اللي انا في وسطهم دول، هتجوز مين؟

الأنوار المتلألئة التي تتوهج من بعيد، مع موسيقى هادئة تستمع إليها، جعلت شعورًا غريبًا يسيطر عليها، فهناك شيء تخشى منه، ولكن ما هو، حنين مؤلم وانقباض بقلبها يذهب بها بعيدًا لشيء تجهله.

ينظر محمد بنفس الوقت للقمر، وهو متكئٌ على زجاج السيارة جانبه، دموع تملأ عينيه، يخشى مما هو قادم، يؤلمه جمود شقيقه عليه.. غضبه منه كان أقوى من وداعه.. ألم يعتصر قلبه..يرجو ولو لدقيقة أن يأخذه بين ذراعيه.. انزلقت دموعه رُغمًا عنه.. غضب يكتسح أعماقه.. وخوف مما هو قادم..

الساعة الثانية عشرة صباحًا.

كانت هذه هي المرة الأولى، التي يذهب بها محمد إلى الخارج وحده.

هذا البلد ليس كبلده العربية، ولا البلد العربي أيضًا الذي كانت تعمل به والدته، هذا تختلف كل الأختلاف، كل ما يوجد بتلك البلدة مخيف، فالفتيات اللواتي كان يمارس كلماته بحرفية معهن حتى يصل لمبتغاه من وراء حاسوبه، الآن هن أمامه بأجسادهن بجمالهن ولكن !

دخل للفندق مصاحبًا جيتاره الصديق الصدوق.

(كل ما حوله يجعل كل جزء بجسده يرتجف، يخشى المجهول).

حين دخوله غرفته، تجاهل تعب جسده المتهالك، وقف إلى الشرفة ينظر إلى الشارع المزدحم.

أخافه علو المباني، وصخب المدينة، والازدحام البشري الذي رآه من النافذة بعض الشيء، وشعوره بأنّه لا يعرف أي شخص بين جميع هؤلاء الناس المتنوعي الجنسيات، والأعراق كان شعورًا مخيفًا.

فجأة، رنّ جرس الهاتف عاليًا جانب السرير، كاد قلبه أن يقف من الخوف، استدار ينظر إليه، واقترب بخطى بطيئة نحوه، رفع السماعة:

- مرحبًا.

سألت عاملة الهاتف بتهذيب:

- السيد محمد؟
- أجل، أنا.
- هناك شخص ينتظرك سيد محمد.
- من؟
- سيدة شابة، تُدعى...
- جوليا؟
- أجل، هذا الاسم الذي أخبرتنا به.
- حسنًا، سوف آتي.
- حسنًا.
- شكرًا لك.

أعاد محمد السماعة ونظر إلى ثيابه، تملؤها رائحة عرق بسبب السفر.

قام سريعًا بتبديل ملابسه، ونزل على الفور؛ فأخيرًا سيرى جوليا بعد سنة من تعارفهما.

* * *

حين استيقظت مباشرةً، سمعت والدها، وهو يخبر والدتها بأن فكرة زواج حلا الآن، وبعد أن أصبحت على وَشَك دخول كلية من كليات القمة ليست جيدة، يجب تأجيل الزفاف سنة أو اثنتين.

وقفت مكانها تستمع والسعادة تتسلل داخل قلبها عندما وجدت من والدها هذا القرار، ولكن سرعان ما تلاشت سعادتها، حين وجدت من والدتها الإصرار على الزواج بالموعد المحدد.

الأم : لسه قدّامها لبعد نتيجة الترم الأول، خَلي الموضوع زي ما هو، عمر كويس.

- أنا ماقولتش عليه وحش يا زهرة، بس حرام نضيع مستقبل البنت.

- مستقبلها هيضيع لو ماكنتش تتجوز، تدخل الجامعة وهي ببيت جوزها، نبقى اتطمنا.

- فكرة إنك متعقدة، هتخليكي تضيعي البنت.

- بلاش الموضوع ده، ممكن؟

اقتنعت حلا أنه لا فائدة؛ فهذه كالعادة محاولة بائسة من الأب، فدومًا تربح والدتها، مثل نجاحها بإتمام الخطبة خلال شهر واحد.

دخلت غرفتها، أغلقتها عليها بإحكام.

فكرت أن تهاتف أحدهم، بحثت بهاتفها، لم تحبذ أحدًا بالقائمة، كلهم شخصيات لا تريد التحدث معهم، وأولهم عمر.

تذكرت صديقتها حنين، لكن دومًا حديثها مخيف، يتحدث عن الموت والحياة، الثواب والعقاب، حديث يؤلمها، وهي لا تريد مثل تلك النصايح في هذا الوقت، فليبقَ ضميرها كما هو؛ خاملًا، وتبحث عن أي شيء تضيع به وقتها.

* * *

تجاهل سيف كلام صديقه، بألّا يتحدث مع هذه المرأة المتزوجة، وأن ما يَتمَلك بهِ مُجرد حالة من الهروب، والهلع من بنات جيله، فقده الثقة بهن وبإخلاصهن، فكيف يستمر معها بعد علمه بأنها متزوجة، ألا يخشى ما قد يحدث؟

كان قد وصل إلى منزله، وهو مستمر بالحديث معها.

ومِلء عينيه التجهّم، حين رأى صديقه ينتظره، وعيناه يملؤهما التساؤل،

تمالك نفسه، وأغلق الهاتف معها، واعدًا إياها أنه سيهاتفها مرة أخرى، وهو عائد إلى المنزل.

تطلع إلى صديقه، وقال:

- لا تبدأ.

قال صديقه بهدوء:

- برضو هي؟

قطب جبينه، وجاهد ألّا يظهر أي أثرٍ للاستفزاز، قال:

- أيوة هي، حبيبتي.
- وبعدين؟
- هتطلق، وهتجوزها.
- هتقبل تتجوز واحدة خانت جوزها وكلمتك، فين سيف اللي كاره كل البنات، وبيقول مش كويسين دلوقتي بتتجاهل ده، وبتفكر تتجوز واحدة بتخون مين، جوزها؟!
- هي ماخانتش جوزها، هي حبتني، ضعفت فيّا، زي ما حصل معايا، الموضوع غريب وانت مش هتفهمه، ماتفكرش فيه عشان ماتتعبش.
- انت مقتنع بكلامك ده؟
- جدًا.
- للأسف هتضيع معاها، اللي زي دي إنسانة مش كويسة، وزي ما خانت جوزها تحت مسمى التوهة، هتخونك لنفس السبب.

زفر سيف بصوتٍ مسموع، وعينين تطلقان شذرًا:

- هنخسر بعض نهائي، لو فتحت الموضوع ده تاني.
- انت أخويا يا سيف، حقك عليّا أقولك لما تغلط.

تركه سيف بحنقٍ، واستدار عازمًا على الرحيل، لتمسك به يد صد:

- خلاص، اقعد أنا آسف.

وقف، وهو يحاول كبح غضبه، وقال:

- وانا مش عاوز أخسرك، بلاش كلام في الموضوع ده تاني.

- طيب.
- يَلا نطلع.
- ما تيجي نخرج.
- هنروح فين على الصبح كده؟ لا، يَلا نقعد فوق شوية، ونشرب أي حاجة.
- طيب.

* * *

اندفعت جوليا إلى أمان ذراعيْ محمد الصلبتين، قائلة بسعادة:

- محمد، حقًا أنت هنا؟

اضطربت نظرات محمد، وهو ينظر حوله، وهي بين أحضانه، هذا الفعل لم يكن يتوقع حدوثه، خشى من نظرات الجميع، ولكن ما فاجأه أن لا أحد لاحظهما، كل مَن بالردهة يركِّز فقط مع نفسه ومن معه.

شعر بشفتها واضعة قُبلة على خده، فانتفض بعيدًا عنها خجلًا، لم يكن هو نفس الشخص الذي يحدّثها عبر البريد الإلكتروني، وجهه شديد الحُمرة، رجفة بجسده ظاهرة.

كانت جوليا ترتدي ثوبًا أسود رائعًا يضيف جاذبية لجمالها الآخاذ، فهي على طبيعتها أجمل بكثير من تلك الكاميرا.

تفاجأت، وهو يندفع بعيدًا عنها، متسائلة:

- ما بك؟

تنهّد بارتعاشة قائلًا:

- الناس حولنا.

عبست متسائلة:

- إذًا ..

التفت إليها بشدة، واستغراب:

- هذا ليس جيد.
- نحن هنا بأمريكا محمد، هنا نتعانق، ونقبل بعضنا بحرية، ليس مثل العرب.
- أعلم، ولكن لم أتأقلم بَعد.
- حسنًا، هيًا بنا.
- على أين؟
- نصعد لغرفتك.
- لا.
- نعم !!
- لا أستطيع استقبالك بغرفتي، هذا ليس جيدًا.

رفعت حاجبيها، قائلة:

- مثلما تريد، حسنًا سوف أذهب الآن.

- حسنًا، لا تغضبي عليّ، لست معتادًا فقط على ما يدور حولي.
- لا تقلق، ليس هناك من داعٍ للاعتذار، ولكن ظننت أنك ستستقبلني بغرفتك، ونحتسي سويًّا كوبين من القهوة فهذا ليس بالفعل السيء، فهناك عادات وتقاليد تختلف من مكان متحضر، لمكان رجعي مثل مصر.
- لا تقولي ذلك، لسنا رجعيين، ولكن لدينا تقاليد يجب المحافظة عليها جوليا.
- حسنًا آسفة.
- ستذهبين؟
- أجل، سوف آتي لك مرة أخرى.
- حسنًا.

ودعته جوليا، وهناك رعب داخله لا يعلم مصدره، ولكنه يخشى كثيرًا من تلك البلد الغريبة.

* * *

تسير ذهابًا وإيابًا بالمنزل، وعينا يوسف ترقباها، وهو يستعد للذهاب لمكتبه، قال لها:

- أكيد دلوقتي نايم يا سميرة، ماتقلقيش.

نظرت إليه، وقالت، وهي متقطعة الأنفاس:

- وحشني، وقلقانه أوي عليه من البلد دي.
- هو لحق يوحشك يا سميرة؟!

- ....
- ماتقلقيش.
- حاضر، بس خايفة عليه.
- من إيه؟
- من الناس، من إنه لوحده، ومحمد غلبان، لو احمد مش هقلق كده.
- لا ماتخافيش هيبقى كويس، خلي عضمه ينشف شوية.
- بس...
- اطمني، ويلا أنا هنزل.
- يارب، ربنا يحفظه، ماشي.

وقف عند باب المنزل والتفت بهدوء، قائلًا:

- سميرة.
- نعم.
- أنا موافق ترجعي شغلك، أنا مش أناني، أنا عارف الشغل ليكي إيه.

جاءت كلماته لتغمر قلبها بالسعادة، حقًا هي بحاجة للعمل، بحاجة له بقوة، قالت وهي تنظر إليه:

- شكرًا يا يوسف.

اكتفى بابتسامة هادئة، وقال:

- سلام بقى.
- مع السلامة، شكرًا يا يوسف.

* * *

مرّ عليها عمر بناءً على تعليمات الوالدة، فإمّا تقبل أن يقوم عمر بإيصالها، أو يفعل شقيقها، فكان خيار عمر الخيار الأفضل.

بعد أن قام بإيصالها، طلبت منه الرحيل بتهذيب:

- شكرًا يا عمر.
- شكرًاعلى إيه يا حبيبتي؟
- إنك وصلتني الجامعة، تعبتك.
- أنا سعيد إني معاكي في يوم زي ده فعلًا.
- ربنا يخليك.
- يَلا، هدخل معاكي لجوة.
- لا يا عمر انت ماتحبش شكلي يكون وحش وسط زمايلي، وانا معايا حد، من فضلك ماتحرجنيش، أنا هكلم حنين دلوقتي وهنتقابل.
- اللي تشوفيه يا حلا، بس لما تخلصي دوامك كلميني.

دومًا تلمس به طيبة غير معهودة، فحقًا عمر شخصية نقية جدًا، في بعض الأحيان يؤلمها بهذه الطيبة معها؛ فلو كان شخصًا سيئًا ما كان ضميرها يؤنبها أحيانًا، إنها تبحث عن لذة العشق مع غيره، فهو شخص جيد لكنه ليس لها، فمواصفات فتى أحلامها ليس بهدوء ورزانة شخصية مثل عمر، ودعته وعلى وجهها ابتسامة هادئة، وألم داخلي يعتصرها، رُغمًا عنها فهو لا يستحق، وأيضًا هي لا تستطيع التحكم، والسيطرة على مشاعرها.

فتمنت ..

ياليت لمشاعرنا أداة تحكُّم، نضغط عليها فنوجهها لنحب ما يختاره عقلنا، ولكن تبًّا لحواسنا تنساق وراء رغباتنا دون حساب، ترغمنا فقط على الانصياع لما تريده..

* * *

ترك سيارته بالخارج بجراج خاص.

تقابل هو وهنا، وجد بها الطيبة، والحنان الذي يفتقدهم، فدومًا حديثها طيب يهدأ من روحه، ويزيده الثقة بأن هناك أشخاص جيدين.

قالت-وهى تقترب منه-:

- حبيبي مالك شكلك متضايق ليه؟!

زم شفتيه بضيق:

- أنا مش متضايق.
- أنا عرفاك يا احمد، بعرف إمتى بتكون متضايق، وإمتى لا.

(كلماتها تلك جعلته ينفر منها، يؤلمه أنها أصبحت وشيكة على فهمه، هذا لا يحبه، وإن كانت مهمة جدًا لديه، لن يقبل أن تظل بحياته، حان الآن وقت أن يبعدها، نظر إليها مُطوّلًا.. يتألم لأنها لن تكون معه بعد اليوم، سوف تصبح المعاملة جافة وعنيفة، حتى تُفضِّل الهرب منه على البقاء).

حاولت جذب انتباهه؛ ليعود من شروده فأمسكت بيده برقة:

- أحمد، روحت فين؟

انفعل، وقال بحنق:

- انتي بتمسكي إيدي بناءً على إيه، عيّل صغير قدامك؟

شعرت بالحرج، وهي تنظر حولها ونبرة صوته الحادة، وأردفت:

- أنا، يا احمد ...
- انتي ما تلمسنيش تاني، يَلا امشي.
- أحمد ..
- بقولك امشي.

وتركها، وذهب دون أن ينظر وراءه، اقترب من أحد أصدقائه، وجلس بجانبه دون أهمية لها ولوجودها.

وقفت تنظر إليه غير مصدقة ما تفعله بنفسها يومًا بعد يوم، ماذا يوجد بهذا الشخص لتبكي عليه، ولكنها رُغمًا عنها تحبه بل تعشقه، تريد البقاء.

* * *

داخل الجامعة تقف يرهبها كِبر حجمها، تحدِّث نفسها والتوتر يبدو على وجهها،

سمعت من خلفها صوتًا تعرفه جيدًا يناديها:

- حلا.

استدارت، وكأنها تتعلق بطوق للنجاة:

- حنين، أخيرًا.
- اتأخرت عليكي؟
- لأ، بس انا مش عارفة أي حاجة، وخايفة.

تنهدت حنين، وهي تطمئنها:

- أنا كمان خايفة مش عارفة ليه، الجامعة دي كبيرة أوي، وتحسي الناس هنا زحمة.

التفتت إلى الخلف مُحاوِلة إدارك ما حولها، لتصطدم بعنفٍ مع أحدهم.

واندفعت إلى الأرض، أحكم قبضته عليها بقوة فأفلتت منه سريعًا، وهو يترقبها بدهشة.

- من تكون؟

فهبت غاضبة، وهتفت بانفعال:

- مش تفتح؟

بدت في صوته الدهشة، والنعومة على غير عادته، وعلى الرغم أيضًا من أنها المخطئة، قال:

- آسف.

جذبت حلا يد حنين، وأسرعت بخطى سريعة بعيدًا عنه، لا تعلم لِمَ أخذت الموضوع بعدوانية؟ فلو بوقتٍ آخر كانت لتسعد بأنها داخل أحضان هذا الشاب الوسيم.

التفتت أثناء سيرهما، خطفت نظرة سريعة عليه لا تعلم لماذا ينظر إليها، ويبتسم وهو يقترب من أصدقائه؟ شعرت بأنه يشعر بارتباكها ويستمتع به، فأسرعت تختبئ بعيدًا عن أنظاره.

* * *

لملمت حلا أطراف ثيابها، وهي تجد بعض الفتيان ينظرون لجسدها بمنتهى الوحشية.

فبرغم سعادتها بأنها تلفت انتباههم، إلا أنها تضايقت من توحش نظراتهم.

أخذت نفسًا مرتجفًا، وهي تجلس بجانب حنين، وقالت:

- الجامعة، ماطلعتش شيء حلو أبدًا.

تمعنت حنين فيها، وَعَلت وجهها نظرة متسائلة:

- ليه؟

- مش عارفة بس كنت فاكرة إني مش هخاف كده، كنت فاكرة هعيش بحرية، هجرب تجارب جديدة، بس طلع الموضوع مرعب.

- واحنا ليه نخاف، بنمشي في حالنا، كويسين ومحترمين، ليه هنخاف؟!

تأففت حلا فهي لا تحبّذ أن تبدأ حنين مواعظها مجددًا، فاستدارت، وهي تتمتم:

- طيب، بقولك يا حنين ما تقومي نروح ناكل أو نشرب حاجة؟ أنا بجد جعانة، أوعطشانة المهم حاجة نقصاني.

- طيب، يَلا.

* * *

لم تكتفِ هنا بهذا القدر من الإهانة، بل ذهبت وراءه، أخذته من بين أصدقائه، عازمة على وضع حدٍّ لكل تلك الإهانات.

ولكن فعلها زاد من سخطه عليها، واستمر بإهانتها، وجرحِ مشاعرها.

كانت لهجة أحمد جادة، واندهشت كيف استطاع دومًا تحطيم ثقتها بحبه لها.

شعرت بفراغ في أحاسيسها للحظة، ثم تابعت قائلة:

- انت دمرت كل الحب اللي كان في قلبي ليك يا احمد، نهيته بمنتهى الوحشية، قسوتك موتته.

تجاهلها أحمد، واستدار مشيرًا بيده لأحد أصدقائه.

أخذت هَنَا تشعر بالوهن والدوار.. فكيف لها أن تظل تحب مثل هذا الإنسان قاسي القلب، لن تعود له مهما فعل، هذه المرة جديًا، لن تعيدها توسلاته مرة أخرى، ولا يؤلمها اشتياقها له، هذه المرة انتهيا سويًا، وإلى الأبد.

شعر أحمد بابتعاد هنا عن المكان، التفت بحذرٍ، يشعر بارتياح كونها ذهبت بعيدًا، رغم الألم داخله.

طيلة هذه السنين يبعدها عنه، ويعود حينما يشتاق لطيبة قلبها، وصِدق حبها له، لكن هذه المرة النهاية، فأصبحت تعلم عنه ما لا يريد أن يعرفه أحد من شخصه.. مشاعره.. تقلباته ...

لكن، ورُغمًا عنه يشتاق لأحدٍ جانبه، وحين يشعر بتعلُّقه به يلوذ بالفرار، كي لا يتركه هو الآخر وحيدًا.

ارتخى في وقفته، حازم يقترب منه، قائلًا:

- مالك يا صاحبي؟
- كويس، إيه الأخبار، أول يوم جامعة، وشكل الدفعة الجديدة جميلة.
- أوي، ده في مجموعة بنات، مش عاوز أقولك.
- طيب إيه؟
- إيه انت؟
- مش هنتعرّف؟
- وهنا يا عم، كل يوم تتخانق معاها.
- فكك منها بقى، انت عارفني.
- بس انت بتحبها، وهي كمان.
- أنا مابحبش حد، أنا بحب نفسي وبس.

نظر حازم إلى ساعته، وقال:

- طيب يَلا نقوم نمشي.
- ليه؟
- خلاص يا عم المحاضرات خلصت، انت لسه فاكر تيجي؟
- والجدول؟
- معايا.
- تمام.

* * *

أول يوم تطرق قدماه خارج الفندق، تقريبًا الساعة السابعة صباحًا بتوقيت أمريكا.

تطلع يمينًا ويسارًا، ثم وقف يخالجه شعور الرهبة، الجو شديد البرودة، استرق النظر حوله، والجميع يرتدون ملابس صيفية تُظهر أجسادهم، كان هو الوحيد الشاذ بينهم.

الفتيات كاسيات عاريات، الذكور أغلبهم يرتدون الملابس الرياضية، ويمارسون رياضة السير، وهناك مقاعد طويلة مصطفّة عند جدران حديقة عامة يجلس عليها بعض المسنين، ومعهم حيواناتهم الأليفة.

دقائق، وكانت جوليا تتأبط ذراعه بحرفية، قائلة:

- اشتقت إليك محمد.
- وأنا أيضًا.
- هل أصبحت بخيرٍ؟
- آسف جوليا، كنت بحاجة لهذان اليومين أحاول التأقلم على وجودي ببيئة غير بيئتي.

هزت رأسها بمرح:

- لا عليك، ما يهم أنك الآن بخير.
- أجل .
- هل أنتَ مستعد للجامعة؟
- أجل، هيَّا بنا.

استدار محمد متأبط ذراع جوليا متجهين إلى سيارتها.

* * *

كان صوت أحمد ناعمًا، وهو يتحدث مع حازم بعد ذهابهما من الجامعة، كانا يجلسان بأحد المقاهي.

- شُفت أنا بنت النهاردة، عسولة أوي.

قطب حازم جبينه مندهشًا:

- فين، وإمتى؟
- في الجامعة.
- وراحت فين؟ أصل انت بتقول عسولة تبقى عسولة.

هز أحمد كتفيه:

- مش عارف، بس أول مرة أشوفها وواضح إنها أول سنة لإن كان واضح القلق، والتوتر في عينيها.
- وكمان أخدت بالك من شعورها.
- ها ها ها.

أومأ حازم برأسه ضاحكًا بدوره، وتابع:

- عارف يا احمد أكتر شيء عجبني فيك من وقت ما اتنقلت هنا، وخلانا نبقى أصدقاء بسرعة؟!
- أيوة إني فِتك.
- هاهاها، لا، إنك رزين أوي، أما يكون نفسك في شيء، بس بتعمل إنه أصلًا ولا همك.
- وده شيء كويس؟!
- هو كويس، ووحش.

- مممم.
- كويس إنك شاب عاقل،ورزين، وده كويس، وحش إنك قاسي، بتبيع، مش بيكون لك حد ماتستغناش عنه، سهل تبيع.

شد أحمد قبضته على كوب القهوة، وقال:

- انت عرفتني أوي.
- شوفت.
- بس ده مابحبوش، مابحبش حد يعرف شخصيتي.

بدا حازم غير مصدق، وقال:

- لا، أنا عارف إني غالي عليك، وصدقني يا احمد لازم يكون لينا حد يفهمنا ماينفعش نعيش لوحدنا.
- بس طبيعتي أنا كده.

كان صوت أحمد ضعيفًا، ونبرته بها حدة، وهو يؤكد على أنه يجب ألا يعلم مكامنه أحد، يجب أن يغلّفه دومًا الغموض، لا يجب أن يكتشف شخصيته أحد مهما حدث، وإن حدث واقترب أحدهم من فك شفرته يلوذ بالفرار بعيدًا عنه.

* * *

كان النسيم البارد الذي اندفع عبر نافذة السيارة المفتوحة مفعمًا بنسمة هواء قارصة جعلته يرتجف.

سألته جوليا بنعومة:

هل تشعر بالبرودة؟

- قليلًا.

- كنت أعلم، فدرجة الحرارة تختلف من مكانٍ لآخر، ولكن لا تقلق سرعان ما سيأخذ جسدك عليها وتترك تلك الملابس الشتوية.

- أجل، أعلم.

هزت جوليا رأسها:

- أقول شيئًا؟

ضغط محمد على شفتيه محاولًا تماسكهما من الارتجاف، وأجاب:

- تفضلي.

- أشعر بالغرابة منك كثيرًا، فلست هذا الفتى الشقي، الذى كان يتحدث معي عبر الحاسوب، أشعر بدهشة حينما أراك، وأتذكر لأي مرحلة كنا، حتى قُبلتي البريئة أثارت توترك، وعصبيتك!

نظر محمد نحوها برهة، وقال:

- أنتِ محقة، وحقًا أنا أيضًا أستغرب، لِمَ هذه الرهبة القوية؟!

- هل يعني أنه من الممكن أن يكون أمرًا طارئًا، أم وجودك معي في الحقيقة أشعرك بعدم الارتياح، وبأنني لست تلك الفتاة التي أحببت؟!

- لا، لا تقولي ذلك، أنا بالفعل أرهب كل شيء هنا، ليس أنتِ فقط بل الكل حتى هذا النسيم القارص، اعذريني، ولكن حقًا وجودك أنتِ أكثر ما يطمئني هنا.

- حقًا؟

- أجل، صدقيني، فلا أعلم كيف لتكون حالتي لو لم تكوني هنا الآن.

أحنت جوليا رأسها، وشعرت بموجة ارتياح تغمرها، وضغطت بيدها اليسرى برفق على يده مبتسمة، ومررت أصابع اليد اليمنى حول مقود السيارة، وكانوا على وشك الوصول إلى الجامعة.

ترجلت جوليا من السيارة، ذهب محمد وراءها.

وهي تقوم بتقديمه على مجموعة من الأصدقاء بدءًا من صديقها "مَت" حتى "براندت".

الذين قابلوه بنظرات باردة، حانقين عليه، لم يحبهم.

وأتى دور تعريفه على الفتاة التي يبدو من هيئتها أنها عربية الأصل.

مما جعلها تلفت انتباهه بشدة.

فتاة طويلة نحيفة ذات شعر أسود، وعينين سوداوين، ليست ناصعة البياض مثلهم، وأيضًا ليست زنجية، فقط تميل للسمرة الجذابة، نظرت إليه بسعادة حين علمت بأن اسمه محمد:

- محمد، عربي؟

* * *

يجلس سيف بأحد الأحياء الشعبية داخل مطعم بسيط مكوّن من طابقين، يجلس بالطابق العلوي بمكان جانبي، حسب تعليماتها.

شعر لوهلة بالتوتر، لماذا تأخرت عليه هكذا؟

الدقائق تمر ببطءٍ شديدٍ.

ولكن سرعان ما تبدلت ملامحه عند رؤيته لها تقترب من باب المطعم، ترتدي عباءتها السوداء، وتغطي شعرها الأسود الظاهر بقطعة حريرية تتزحزح مع نعومته.

ضغط على شفتيه، واختفى التوتر داخله، ابتسم عند جلوسها جواره، وأخذ يتنفس رائحتها الذكية.

سألته همسًا:

- اتأخرت عليك؟

أومأ برأسه منافيًا، وهمس ببطءٍ مثلها:

- لأ.. انتي حلوة أوي يا هبة، أحلى من الصور بجد، صوتك كمان جميل أوي، انتي طلعتي بجد جميلة أوي.

حدقت به، لم تعلم ما يجب قوله، أخذت تنظر وراءها، كان سيف يراقبها، وابتسامة كسولة على شفتيه، ثم اقترب بكرسيه منها، وقال:

- بجد النهاردة أسعد أيام حياتي، لازم تطلّقي.
- بتتكلم جد؟
- أيوة، انتي شايفة حل تاني، لازم نتجوز.
- بس انا دبلوم، أنا هبقى مطلقة، انت كلية كويسة، ولسه تلميذ، مثقف، أهلك أكيد لما تيجي تتجوز هيبقى نفسهم يجوزوك لبنت ناس، إيه هيخليهم يقبلوا بواحدة زيي؟
- ماتقوليش على نفسك كده، انتي احسن من مليون بنت أنا شُفتها، وأدبك أصلًا مش زي واحدة فيهم.

- أدبي! انت بتتريق عليّا؟ كتر خيرك.

- والله أبدًا، انتي فعلًا مؤدبة وأحسن من ناس كتير، يكفي من يوم ما عرفتك دي أول مرة تقبلي تقابليني.

- أنا مش عارفة ازاي عملت كده، مش عارفة وصلنا لهنا ازاي، ماتأخذنيش يا سيف بس انا خايفة، وبجد كتير بندم إنك شُفتني في محل الموبايلات، وبندم أكتر إني ضعفت واتكلمت معاك، وفرحت بكلامك وحلاوته.

- وأنا بشكر ربنا أوي إني شُفتك، أكيد ربنا ليه حكمة، وإني احفظ رقمك، وأنا أصلًا مش حافظ حتى رقمي، مش صدفة، ثقي اللي حصل معانا ده مش طبيعي.

- وأخرته إيه بس؟

- جواز طبعًا.

- بس..

- لازم وقريب، قبل ما ينزل من سفره.

- حاضر هشوف.

- لأ، مش هتشوفي، ده لازم يحصل، وماتقلقيش انا جنبك.

ظهر دفء في عينيها البنيتين، وقالت بهدوء:

- ربنا يخليك ليّا، بس انا خايفة.

- أهلك؟

- وهو كمان انت ماتعرفش بيحبني ازاي.

تبدلت ملامح سيف، وتحدث بعصبية:

- طيب خلصنا.

- أنا آسفة، وربنا ما اقصد.

- خلاص، بس اعرفي إني مش هستحمل تفضلي على ذمته لما ينزل مش هستحمل.

- حاضر.

بدأ قلبه يخفق بقوة، وهو يلامس يدها بأطراف أصابعه، وكأن الحب اتصل وزاد من مجرد لمسة يد..

* * *

أومأ محمد برأسه، ولا يزال الوجوم مرتسمًا على فمه، وقال:

- نعم، عربي مصري.

- مرحبًا، حقيقي سَعدت بلقائِك.

- سَعِدتُ أكثر.

تابعت، وهي تُحدِق فيه بذهول:

- اسمي كريستي.

ابتسم، وساد صمت لثوانٍ، حتى جذبته جوليا من ذراعه:

- هيا؛ لأعرّفك على المدينة بأكملها.

استسلم لها يخطو معها إلى الأمام، ولكن رُغمًا عنه استدار برأسه للخلف.

ليجد كريستي هي الأخرى، تنظر إليه بدورها مبتسمة.

شعر بشيء ما يتصل بينهم، ما هو؟ لا يعلم، ولكن هناك شيء ما بهذه الفتاة يثير مشاعره ويجعله يريد فقط النظر إليها.

مررت كريستي لسانها على شفتيها الجافتين، وعيناها يملؤها الغموض.

* * *

سميرة وجهها شديد العبوس، فرغم عودتها لعملها إلا أن ما زاد استياءها، وأذاب حلاوة عودتها لممارسة مهنتها التي تعشقها، هذه الدرجة التي ستشغلها، لو مازالت بالخارج لكانت بدرجة أعلى، وبراتب أفضل بكثير.

ولكن سرعان ما تلاشى حنقها، حين نظرت للجدران حولها.

وقسوة نجلها، وتبلُّد زوجها، أدركت أن هذا العمل ليس بذلك السوء، ما يهم أنها ستقضي أوقات فراغها بشيء تجد نفسها به.

* * *

شعرت حلا برجفة طفيفة حين دخلت كافيتريا الجامعة، ورأت أحمد الشاب الذي التقطها من الوقوع منذ يومين .

وجدته بدوره يحدق بها من وراء عدسات نظارته.

لم تُعطِه اهتمامًا فنظراته لها لم تَسُرّ قلبها ولم تعلم لِمَ؟ فقط اتخذت منه موقفًا عدائيًّا، فهي دومًا ما تميل لأيٍّ كان.

جلست بارتباك على أحد المقاعد وبجوارها حنين أخذتا تتجاذبان أطراف الحديث.

نظرت نظرة جانبية سريعة إليه، بدا مسترخيًا إلى درجة كبيرة.

وهذا زاد من استيائها.

فمَن هذا الشاب، ولِمَ نظراته لا تعجبها إطلاقًا؟

* * *

أومأ أحمد برأسه تجاه صديقه، وهو ينظر لحلا، وأشار:

- البنت اهي.

نظر حازم ببرود نحو حلا، واسترق نظرة سريعة بمن تجلس جوارها حنين، وتحدث:

- مين فيهم تقصد؟
- البنوتة اللي لابسة حجاب روز.

تمعن حازم مرة أخرى النظر إليها برهة، وقال بارتياح:

- أيوة جمالها ليه نوع خاص كده، اللي ماتقدرش تقول البنت دي جميلة ليه؟ هي فيها حاجة بتقول إنها مميزة، وبس.

هز أحمد كتفيه، وأجاب:

- أه، عاوز اتكلم معاها بس هي اللي تعمل ده.
- مش فاهم.

- هي اللي تكلمني.
- مممم، طيب، وده هيحصل ازاي؟
- هيحصل، تابع بس.

أردف حازم، قائلًا:

- هنشوف.

اكتفى الاثنان بهذا القدر من الكلام، وطال الصمت بينهما.

* * *

ضاقت عيناه وهو يضع "سيجارًا" بين شفتيه.

ناظرًا حوله خشيةً من أن يراه أحد، يقف في أحد أزقة الجامعة.

ممسكًا هاتفه بيده اليُمنى يتحدث وقد بدا عليه أنه يتسلى.

- طيب مافيش حاجة ليّا؟

هبة، بصوت هادئ:

- تؤ، مافيش.
- ليه، ده انا بحبك.
- وانا بحبك.
- طيب إيه ريحي قلبي.
- لا يا سيف، هكرهك، وهكره نفسي، مش قبل ما نتجوز، واكون انفصلت انا وجوزي.

- بس لسه كتير، خلاص طلقيه من دلوقتي مش لازم تستني لما ينزل يعني.

- مش قبل ما تفاتح البيت عندك في موضوعنا.

نفث دخان سيجاره، وزم شفتيه:

- انتي بتعمليها حاجة قصاد حاجة؟

- بصراحة أنا ماضيعش حياتي، وانا مش ضمناك، افرض اتطلقت، وبعدين قولتلي أهلي ماوافقوش؟

- ليه؟ بتكلمي عيل، اعرفي انتي بتقولي إيه يا هبة.

- أنا ماقصدش، بس حط نفسك مكاني.

- لأ، مش هحط، وخلاص اللي عوزاه اعمليه.

ظهر التألم والضعف بصوتها، وقالت:

- تقصد إيه يا سيف؟

- أنا قولتلك إني عوزاك وبحبك، ومابتمناش غيرك، دلوقتي القرار في إيدك هتبقي معايا، يا تكملي حياتك بواحد ماعرفش أصلًا إيه بيربطك بِيه.

- بيحبني..

- وانتي لأ، مافيش بينكم أطفال، يبقى ليه؟ ملعون ده حب يخليكي تعيشي معاه عشان بس بيحبك؟ أصلًا انتي بتضريه، إنك تعيشي معاه، وقلبك مع غيره مش إفادة ليه، سيبيه حتى عشانك مش عشان حد تاني، سيبيه واحتوي نفسك قبل ما تحتاجي حد تاني يحتويكي انتي محتاجة ده، قبل ما تفكري هكون معاكي ولا لأ، فكري انتي هتكوني

سعيدة لما يبقى معاكي أطفال من واحد بس لمجرد بيحبك، طيب انتي فين؟

انزعجت هبة من برودة نبرته، فمِن الواضح أنه لا يحبها، لو أحبها ما كان ليقول هذا ويجرحها، نزلت دموعها على وجنتيها، وأغلقت الهاتف بوجهه دون أي مبرر.

نبرة عدم التصديق بصوته ببعض اليأس هل يُخيل إليه أم حقًّا أغلقت الهاتف بوجهه، هل رحلت ببساطة، وتركته؟

* * *

استدارت حلا بعينيها عن أحمد، وطلبت من حنين أن يرحلا سريعًا.

وأخذتا مشروبًا غازيًا، ورحلتا.

لم يتحرك أحمد من مكانه، على الرغم من تأكد حلا بأنه سيذهب وراءها، شعرت بالكدر حين خيب أملها، على الرغم من أنها لا تستلطفه، إلا أنها توقعت بأن يلاحقها، كيف لا تعرف.

* * *

قال حازم، وهو يترك من يده كوب القهوة، بحرارة ظاهرة:

- ما كنا نروح وراهم.

أمعن أحمد النظر إلى حلا التي تسترق النظر من بعيد، وقال بثقة:

- هتيجي، خليك تقيل، هتلف وترجع، نوعها معروف، تتجهلها، تدورعليك.

عقد حازم حاجبيه، وأجاب:

- طيب، لَمّا نشوف.

(تنهد أحمد، وزفر نفس بعمق، وهو على ثقة مما يقول، فشخصية مثل هذه الفتاة يدركها من أول وهلة).

* * *

نظر يوسف لساعته، الساعة أصبحت الرابعة مساءً، ولم تعُد بعد سميرة من العمل.

بعد نصف ساعة سمع باب المنزل يدور به مفتاح، وصوت أقدام أصبح بالداخل.

عند وصولها إلى مكان تواجده.

وجدته يجلس على مقعد أمامها، دُهِشَت عندما وجدته!

تساءلت بفضول:

- بتعمل إيه هنا يا يوسف؟

قال لها مفسّرًا، ونبرتة تدل على انزعاجه:

- منتظر الغدا يا سميرة.

لم تتكلم، فقط دخلت إلى غرفة المطبخ، وقامت بإعداد وجبة سريعة دون أن تُبدل ثيابها اقتصارًا لمشادة بينهما.

جلسا سويًا على المائدة.

انتحبت سميرة في خجل، وقالت:

- أحمد لسه في الجامعة؟

مضغ الطعام ببطء، وهزَّ كتفيه:

- ماعرفش، يمكن في أوضته.

ثم حول نظره بعيدًا عنها، وأكمل طعامه في هدوء.

لم تطل في الحديث، تشعر بغضبه، وفي حالته هذه تعلم بأن الصمت أفضل.

* * *

عند ذهابه إلى الجامعة باليوم التالي اصطحبته جوليا مباشرة لحضورالمحاضرة، سارا سويًا باتجاه الدَرج وبدآ يصعدانه، جوليا يليها محمد.

جلسا بثاني مدرج، وكان بجوار جوليا مكانان آخران شاغران.

لاحظ محمد وجود كريستي بقرابة الباب تختلس النظر إليهما.

تلاقى وجهاهما، هزت رأسها بابتسامة تحييه.

ابتسم بدوره، بقلبه شيء لتلك الفتاة منذ الوهلة الأولى لا يعلم ما هي، ولكن هناك تواصل بشكلٍ ما.

عَبَرَت كريستي باب المدرج.

اقتربت منهما، طلبت بتهذيب من جوليا أن تنتقل بالمقعد، وأن يفعل محمد مثلها، وتجلس بدورها جانبه.

فعلت جوليا على مضض، ومحمد تحرك بدوره.

تلامست أرجلهم حين جلست كريستي بجانبه.

توهج وجه محمد، فلم يكن معتادًا على هذه الملامسات، وخصوصًا كريستي هذه بها شيء يخطف أنفاسه.

* * *

مسحت سميرة على شعر يوسف بيدها بنعومة، وهو نائمٌ أمامها.

وقالت بنبرة ناعمة:

- مالك يا يوسف؟

قال يوسف باندهاش:

- تبقى كارثة؛ لو مش عارفة إني زعلان بسبب تأخيرك في الشغل لوقت متأخر كده؟

رددت سميرة بصوتٍ خافتٍ، وندمت على ما أثارت من نقاش:

- عارفة، بس فكرة ننام متضايقين دي انت عارف إني مابحبهاش.

فقاطعها قائلًا:

- خلاص أنا ماتكلمتش، ماتثيريش موضوع للنقاش، ويَلا عشان انام ساعتين واقوم اشتغل.

قالت سميرة، بأنفاس متقطعة:

- حاضر، أنا آسفة، تصبح على خير.

لم يُبدِ على ملامحه الجامدة أيّ تعاطف، وأغمض عينيه ببساطة متابعًا:

- وانتي من أهله.

جاهدت لتكبح دموعها، لكنها فشلت، فكانت الدموع أسرع من محاولتها لإيقافها، أخذت تنهمر على وجنتيها بغزارة.

* * *

كان سيف يحاول الاتصال بهبة.

يوميًا لم يَكِل أو ييأس، حتى رقم هاتفها بدلته فلم يعد بوسعه الوصول إليها مهما حاول، فكل ما كان يربط بينهما هذا الرقم، لا يعرف لها عنوانًا، أو حتى اسمًا كاملًا.

يشعر بأوصاله تتمزق، يشتاقُها، لِمَ اختفت بهذه البساطة؟

يبدو أنها تلاعبت به، فلو كانت أَحَبَّتهُ لِمَ فضَّلت الرحيل ببساطة؟ هل أخطأ حين اعتقد بأنها تحبه، وأنها لا تحب زوجها؟

هل كانت تكذب حين أخبرته أن علاقتها به باردة، أم كانت تحاول فقط تضييع وقت معه؟

هل كان لها مجرد وقت فراغ، أتى من يشغل وجوده؟

يا لها من حمقاء! فلو تعرف ماذا فعلت به، قلبت له حياته رأسًا على عقب.

هي أضافت لرصيد كرهه للفتيات عريضة طويلة، تؤكد له بأن كل الفتيات خائنات، وليس لهن أمان.

أكدت له ببرهانٍ مليء بالألم، أنه لا يمكن الوثوق بفتاة جيدة تحب شخصًا واحدًا، وتكون له، إنما تبحث عن كثيرين، وكأنهم أصبحوا مجرد جعبة تمتلئ بالعديد من الفتيان، ويتنافسوا مَن منهم ستخون، وتؤلِم، وتُحَطِم، وتعرف رجال أكثر؟

* * *

بعد يوم مُرهِق أخذته جوليا بجولة داخل ضواحي أمريكا.

يجد الراحة دومًا جوارها، ولكن لم يجذبه قربها مثل كريستي التي يفكر بها بكل لحظة، هذه الفتاة رُغمًا عنه استحوذت على جزءٍ كبيرٍ منه.

فدومًا يتذكّرها، يتذكر نظراتها التي تطارده دومًا، فيوما عن يومٍ تحثه نظراتها على الاقتراب، تريده هي أيضًا، تتمنى قربه.

ولكن جوليا، تلك الفتاة الرائعة، وعلاقة الحب التي تجمعهما منذ أكثر من عامٍ، هل يخذلها هكذا، لا لن يستطع، فحقًا هو أحبها جدًا.

وإن لم يكن بنفس رغبته بكريستي، ولكنه قويٌّ كفاية أن يوجه مشاعره لها، ويحارب بجسارة تلك الرغبة الجامحة بكريستي، فحقًا هي مجرد رغبة.. يريد ارتواء عطشه منها.

* * *

يقوم بإيصال حازم كالعادة.

عند أول طريق الهرم، ليُخالجه شعورغريب كالعادة، ولكن هذه المرة قرر أن يفصح عن هذا الشعور ويسأل بفضولٍ، أثناء ترجل صديقه من السيارة:

- انت بتروح الكباريهات اللي هنا؟

ابتسم حازم، وقال مستنكرًا:

- لأ، طبعًا.
- ازاي؟
- هههههه، انت فاكر يا احمد إن اللي عايشين في الهرم، لازم يكونوا بيدخلوا بقى كباريهات، وعايشين نفس الحياة الهزلية دي؟!
- أيوة طبعًا، مين قُدّامه الدلع..
- وهو ده دلع؟! ده قرف.
- بس دي فرصة كويسة، قُدَّامك شيء سهل، ومن غير تعب.
- وده قوة التحدي، قدامي شيء سيء وسهل، وأنا بفضل أغُض بصري واعمل الصح، وارضي ربنا.
- ....
- كلامي مش عجبك؟
- لأ، بالعكس احترمتك أكتر والله.
- ربنا يكرم أصلك، يَلا أشوفك بكرة.
- ماشي، سلام.

عاد حازم إليه مرة أخرى، وقال بهدوء:

- صحيح يا احمد نسيت أقولك.
- إيه؟
- انت ليه قولت لباسم وشلته يضايقوا البنت اللي عَجباك، ووريتهم شكلها النهاردة؟
- سياسة، أصل هي لازم تيجي؛ لإنها عاوزة مش انا اللي هروحلها.
- عارف، بس أنا نفسي أفهم ليه بتعمل كده، حكاية إنك تخلي حد يعاكسها، تقوم تقع في غرامك فيلم قديم قوي يعني.
- بس بينجح، والبنت دي من النوع ده حاملة زيادة عن اللزوم.
- مش عارف، بس مش حابب الموضوع.
- مش مهم انت تحبه يا عم.

هزَّ حازم كتفيه، وقال بتساؤل:

- يعني انت مرتاح انك تعمل شيء زي ده؟
- أه، حابب بصراحة، وبكرة تشوف هتقع ازاي.
- طيب، بكرة نشوف، يلا همشي.
- ماشي .

وقال بصوت عالٍ يسمعه صديقه:

- خلي بالك، وانت ماشي بالليل.

التفت صديقه للوراء، وقال:

- مش بالمشي يا صاحبي، ممكن ابقى في بيتي ومش كويس، انت عارفني ماليش غير في الدغوري والصح.
- أه، ما انا مستغرب انت مصاحبني ليه؟
- ههههههه، بختي، سلاااااام.

كان أحمد يرقُب أثر حازم، وهو يتجه بأحد الشوارع حتى اختفى عن أنظاره، ويقول في نفسه :

فعلًا مش المكان اللي بيحوّل الإنسان، الأماكن اختبارات صغيرة من ربنا عشان يبان قوة تحملنا لها، ربنا !

قالها وهو ينظر لنفسه بمرآة صغيرة أمامه ربنا! أد إيه مجرد مناداتك بتلمس القلب، بس ليه ماربوناش إنك يارب أهم من المال والطموح، إن القرب ليك نعمة، ليه أم تبيع ولادها، وأب يعميه الطموح، وحياة مادية أنانية، ليه يارب ماخلتش ليّا أب وأم تانين، ليه تبعد بيني وبين محمد، ليه أنا تايه، وجوايا مش عارف الاقيني؟؟!

* * *

أثناء استعداده للنوم، وجد باب غرفة الفندق يطرق بخفة.

اندهش فلَم يبلغوه بأن أحدًا يرغب برؤيته، ولم يطلب هو أيضًا شيئًا من خدمة الغرف.

فتح باب الغرفة ليرى مَن، وجدها أمامه، بشعرها الأسود، وعينيها البنيتين.

- مساء الخير.

قال لها بحرارة واضحة واندهاش مبالغ:

- كريستي؟
- أجل أنا، هل لي أن أدخل؟
- ولكن، كيف جئتِ هنا؟

جمدت كريستي، وقالت بثبات:

- أنا كريستي، لا يستطيع أحد منعي عن شيءٍ أريده، هل ستُدخلني أم ماذا؟

ارتجف قليلًا، وتابع:

- بالطبع، تفضلي.
- ولكن، لِمَ أتيتِ؟
- لأتحدث معك، يجب علينا ذلك، هذه النظرات بيننا، وذلك الشعور الغريب يجب أن نضع له نهاية، هل نجلس؟

* * *

أثناء ذهابهما بمحطة المترو.

استمعت حلا لصوت هاتفها يبلغ عن وجود رسالة.

اعتذرت من حنين بأن تأخذ أشياءها، لتهاتف عُمر، حيث أن الرسالة منه، فتناست تمامًا بأنّه كان يجب أن تراه اليوم.

أجابت حلا فورًا، ثم شعرت بانشداد أعصابها:

- ألو.. ازيك يا عمر.. آسفة نسيت اتصل خالص.. معلش بجد.. أيوه أكيد لمّا ارجع هتصل بيك.. معلش حبيبي ماتزعلش.. انت كمان أوي.. ماشي..سلام.

ابتسمت حنين، وقالت:

- بحب أنا عمر؛ عشان بيحبك.
- أه.
- مالك يا حلا، ليه مش مبسوطة؟

أومأت برأسها بالنفي:

- لأ، مبسوطة أوي.

ووجدت هاتفها يُعلِمها برسالة قصيرة مرة أخرى، تناولت هاتفها باقتضاب متوقعة بأنها رسالة من عمر يعبِّر عن اشتياقه، وحبه لها، وانتظاره اليومي لها تحدثه بهذا الوقت، ولكن سرعان ما تحول حنقها لابتسامة، حيث تلاعبت الرسالة بأوتارها بمنتهى الرقة.

فكانت تحتوي على ..

"حبيبتي حلا، اشتاق قلبي ليلامس نبض قلبكِ، واشتاقت أذني أن تداعبها حروفك، واشتاق فمي ليذيق عسل شفاهك، فهل تتصلين بي، اشتاقك أشد اشتياق.."

علّقت حنين عليها وعلى ابتسامتها، وقالت:

- أكيد رسالة من عمر.

فاقت حلا من شرودها، وأردفت:

- أيوة، يَلا وصلت.

أخذت أشياءها وودعت حنين، على موعد اللقاء غدًا.

* * *

كان يترقب أثر خطواتها أثناء ولوجها للغرفة دون أن تنتظر منه ردًّا بالموافقة على أن يمكنهما الجلوس سويًا، أم لا؟
ابتسمت كريستي، وتركته واقفًا على باب الغرفة، وسارت نحو الداخل شعرت بقلق محمد وهو يغلق الباب سريعًا، وابتسمت، وهي تضغط على شفتيها وتتأمل الغرفة.
جلست على السرير، وهي تدعوه للاقتراب والجلوس قربها.

* * *

تنهد عمر، وهو جالس على مقعده داخل المصنع بألم.

شعرت بهذا الزفير الذي يترك روحه، ويلامس قلبها- أمل- هذه السكرتيرة التي تجلس أمامه، ولا يدرك مدى عشقها له.

انتحبت، وقالت بخجلٍ:

- انت بخير أستاذ عمر؟

ابتسم عمر لها، فهو يدرك أنها تتعدى كونها مجرد عاملة بهذا المكان، بل تعمل على راحته، يشعر بالراحة أثناء وجودها، يعلم أيضًا مدى اهتمامها به.

تنهد ووضع يديه الناعمتين على المكتب قائلًا:

- الحمد لله .

تبادلا النظرات، ثم توردت وجنتاها، وقالت:

- طيب، بعد إذن حضرتك.

قال عمر، وهو يوسع لها ابتسامته:

- اتفضلي.

نهضت راحلة، وأمسك عمر بهاتفه علّ حلا اتصلت به، ولم ينتبه للهاتف، ولكن خاب أمله حينما وجده على حاله.

تذكر أنه لم يؤدِ فريضة صلاة العصر، نهض من مقعده، وتناول مصليته وأقام الصلاة.

* * *

أشارت كريستي مرة أخرى داعية محمد أن يجلس جوارها، ولا يقف بعيدًا هكذا.

قالت في صوتٍ خفيض:

- تعالَ محمد.

اقترب منها، وجلس جوارها وكُل وريد داخله ينتفض، مشاعر كثيرة تجتاحه، والسؤال الأكثر إلحاحًا: ماذا تريد، ولماذا أتت إليه؟

قالت كريستي، وهي تنظر بطرف عينها إلى محمد:

- هل أعجبتك أمريكا، محمد؟

رفع كتفيه، ثم أرخاهما بحركة عفوية:

- نعم، ولكن أيضًا تُخِيفَنِي.

نظرت إليه بإمعان، وركزت بصرها على وجهه، وعينيه، وقالت:

- كيف؟ فهي جميلة جدًا.

وعَبَرَت المسافة التي فصلت بينهما بتأنٍّ وقح:

- جميلة مثلك محمد.

قالت جملتها، وعيناها مُصوبتان على شِفاهه، ابتسمت حين لمست به قشعريرة تسري بجسده لتلامسها.

خفض نظره، وبدا انتباهه مُركزًا كيف يقاومها ويلوذ بالفرار، فلا يحق له خيانة جوليا هكذا.

حدقت فيه بدهاءٍ، ملامسه لأطراف يده بنعومة، ولاطفت خديه، وهمست وهي تجذبه إليها:

- أشعر بانجذاب غريب نحوك.

تمعن محمد بها، وظهرت بملامحه الشهوة، والرغبة في أن يأخذها بين ذراعيه، مُصَوّب عينيه على شفتيها اللتين لم يكن يفصل بينهما وبينه سوى أنفاسٍ ملتهبة، واندفع لها مُقَبّلًا.

* * *

بدا من التعبيرات التي بدت على وجه حلا أن بها ما يقلقها.

فمنذ الساعة، وهي تحاول مجرد التركيز بهذا المشروع المطلوب منهم، ولكنها لا تعلم كيف.

فهذه المواد أصعب مما كانت تعتقد.

تأففت بملل، وقالت بعبوس:

- وبعدين هعمل فيك إيه، واعملك ازاي؟ إحنا خدنا إيه عشان نعمل مشروع؟

أيوة، حنين اتصل بحنين أشوف عملت فيه إيه.

نهضت متناولة هاتفها، وأجرت الاتصال بـ حنين:

- ازيك يا حنين.. أه متضايقة جدًا.. مش عارفة اعمل الزفت ده.. المشروع في غيره.. ولا انتي؟. طيب وبعدين؟ هنشوف مين يعني؟ طيب بس حد تعرفيه يعني؟ لسه هنسأل؟ مافيش وقت على الخميس المشروع هيجهز إمتى؟ أنا عارفة ليه مستعجلين كده بس؟ طيب.. طيب لما نشوف.. ماشي أشوفك الصبح.. سلام.

أغلقت مع حنين، وتذكرت عمر، الآن يجب عليها الاتصال به، ضغطت على إعادة الاتصال بعمر، وهي تعترف لنفسها في عقلها الباطن، كان من السخف أن تحدثها نفسها بأن شعور الضيق الذى يتملكها دومًا حين توارد عمر على ذهنها أصبح من الصعب احتماله.

سمعت صوته يقول:

- أخيرًاااا يا حلا، أنا قلت إنك نسيتيني.

تمالكت نفسها، وكبحت سخطها على هذا الوضع المؤلم، وأردفت:

- أنا آسفة ياعمر، بس كنت بذاكر، معلش.
- ولا يهمك يا حبيبتي، صليتي؟
- ها؟ أه .. أه..
- طيب الحمد لله، وحشتيني قوي.
- وانت كمان.

صمتت حلا قليلًا، تتمنى انتهاء هذه المكالمة بفارغ الصبر.

وأغشاها المرح حين سمعته يقول إنّه مضطر لإغلاق الهاتف، حيث أن هذا موعد ذهابه للمنزل كما تعلم، ويجب أن يتمم على إغلاق المصنع.

ودعته حلا بابتسامة صادقة.

وأعادت الاتصال مرة أخرى بهذا الفتى الذي تجد معه نفسها، بعد محادثة دامت أكثر من خمس عشرة دقيقة، لمست بهم سعادة حقيقية، أغلقت الهاتف، وهي تشعر بالنعاس.

* * *

بساعات الليل الأولى تتحرك يمينًا ويسارًا، صوت أنينها أوقظه من نومه.

أخذ يهز جسدها حتى أفاقت.

نهضت ولونها شاحب، جالسة جواره على السرير، وهي تلتقط أنفاسها وتردد آيات قرآنية.

اتسعت عيناه، وهو ينظر إليها:

- مالك يا ام سيف؟
- أختي، الله يسامحها.
- مالها بس؟
- شكلها بتتعذب أوي.. حلم غريب.. لأ.. كاااابوس..

أمسك ذراعَها برفقٍ، وقال:

- طيب اهدي بس، الله يسامحها عقدتك.
- ماعرفش ليه، عملت كده في نفسها وفينا؟!

ناولها كوبًا من الماء تُهدّئ بها من روعها، ومسح على ذراعها بلطف، محاولًا إرضاخها للنوم مرة أخرى بهدوء.

* * *

نسيم عليل يتسرب لداخل الغرفة، مٌعلِنٌ عن صباح يوم مشرق جديد.

جلس محمد، على كرسي أمام السرير، وراقب كريستي، وهي نائمة في هدوء.

فتحت عينيها لتنظر إليه مبتسمة، قائلة:

- محمد، صباح الخير.

نظر إليها بدوره، وقال:

- صباح النور.

تبدلت ملامحها، وجلست على السرير، وهي تُرخي يديها، قائلة:

- ماذا بك؟

- هذا لا يجب أن يتكرر مرة أخرى كريستي، لا يحق لي خيانة جوليا بهذه الطريقة أبدًا.

ضغطت بيدها على ملاءة السرير، وأردفت منفعلة:

- جوليا.. جوليا، دائمًا هناك جوليا.

نظر إليها مطولًا صامتًا.. هناك قلبٌ أحبَّك حقًا، لا أعلم متى وكيف؟ ولكنه فعلها وأحبك، ولكن لم يتعلم الخيانة بعد.

زمَّ شفتيه، وقال:

- يجب أن تذهبي كريستي.

قامت، وهي تحتمي بغطاءٍ يسترها، وقالت بعصبية:

- حسنًا محمد، حسنًا.

ارتدت ملابسها سريعًا، وهي تنظر إليه..

بعد أن كان يتابعها، حوّل نظره بعيدًا عنها ونظر باتجاه الشُرفة، بَرَقت عيناه، وهي تخرج من الغرفة، دون أن يحاول ردعها من الذهاب مثلما يحثه قلبه.

* * *

باليوم التالي..

وجدت حلا حنين تحثها على الذهاب لطلب المساعدة من أحد الموجودين في الغرفة، قالت حلا:

- تيجي معايا.
- لأ، مش هينفع اجي.
- ليه بقى؟
- عشان أناماينفعش اكلّم ولاد.
- يا سلام، وانا اللي اكلم يعني؟

أومأت حنين برأسها، قائلة:

- انتي مش بتشوفي إن ده حرام، لكن انا بستحرم كلام الولاد.

صاحت حلا بنبرة مرتفعة:

- تخيلي يا حنين مش هرد عليكي، وهمشي احسن.

أمسكت حنين ذراعها، واعتذرت منها:

- أنا آسفة.

نظرت حلا حولها ببعض الضيق، كان هناك الكثير من الفتيان والفتيات، وقالت:

- طيب ما نطلب من أي بنت.
- مافيش بنت بتساعد بنت، هو ولد يساعدك أيوة.
- طيب، أنا هطلب مساعدة.
- ماشي.

تقدمت حلا بقدمٍ ترتجف حتى قادتها إلى أحدهم، وما إن تقدمت حتى استدار إليها مندهشًا:

- نعم؟
- عاوزة حد يفهمنا المشروع ده يتعمل ازاي بعد إذنك.
- أه، انتي معايا في الدفعة؟
- أه.
- حاضر، هجبلك مشروعي بكرة وتشوفيه، وتعملي زيّه.

اتسعت ابتسامتها، وقالت:

- ميرسي جدًا بجد، ميرسي ليك.

هز الشاب كتفه، وقال بنعومة:

- تحت أمرك، احنا زمايل.

اعتذرت منه لإزعاجه، وشكرته من قلبها، واتجهت لحنين- تملأ وجهها السعادة- وقالت:

- خلاص هيجبلنا المشروع بتاعه، بكرة نشوفه.
- الحمد لله، ماتزعليش مني يا حلا.
- لأ، انا اتعودت على كلامك، مابقتش بزعل خلاص.
- سخيفة.
- المهم، مستحملاكي.

ضحكتا سويًا، واتجهتا لداخل الجامعة.

* * *

نظراته ترقبها، وصوت ضحكاتها يعلو مع صديقتها بعد أن تحدثت لشاب، وتلك كانت المرة الأولى التي يراها تحدث أحد.

ابتسم حين وجد بابتسامتها هدوء رائع، رُغمًا عنه يتعلق بها يومًا عن يوم، تجذبه بشكل غريب، نظرته لها، وتفكيره بها مختلف.

عزم أحمد على أن تكون له، وليس مجرد صديقة، لا، سوف تأخذ شكل أكبر من ذلك، يُنبؤه حدسُه ويثق كثيرًا به.

* * *

يخطو الاثنان متشابكي الأيدي..

ظل محمد يتجاهل دومًا نظرات كريستي، ويحاول تعويض جوليا عن خيانته لها،

رغم اشتياقه لكريستي، إلا أنه تحدى نفسه بأنه لن يخون جوليا مرة أخرى، وقد حدث.

قالت جوليا بابتسامة، تقطع الصمت:

- محمد، ألم تقل لي بأنك تعزف، وصوتك جيد؟
- أجل، فعلت، ولكننا تأخرنا الظلام هجم.
- من أجلي محمد، أرجوك.
- حسنًا، ولكن أنا لا أستطيع الغناء بالغربي، واللغة العربية لن تستطيعي فهمها.

- ولكنني أريد الاستماع إليك، وأنا أسمع الكثير من الأغاني العربية.
- وهل تفهمينها؟
- لا، ولكنني أستمع للموسيقى الشرقية، وللأصوات الحميمة مثل أم كلثوم.
- هاهاهاها، أم كلثوم مرة واحدة!
- نعم، وعبد الحليم.

قال محمد، وهو يبتسم بشدة:

- إذن اتفقنا، سوف أفعل، وأدندن لك، ولكن اصطحب جيتاري معي أولًا.
- حسنًا، اتفقنا.

وجدها تقترب منه هو وجوليا أثناء جلوسهما بكافيتريا الجامعة، وابتسمت ببرودٍ، وقالت:

- محمد، مرحبًا، اشتقت إليك.

تبدلت ملامح جوليا حين لمست بصوت كريستي هذه اللهجة الواثقة، ثم حولت نظرها لمحمد لترى رد فعله.

رقَّ تعبير محمد فهو حقًا أحبها، كانت أول من أخذه بين أحضانه وأذاقه النشوة، ثم حوَّل نظره لجوليا، وبرقت عيناه لثانية، وتوردت وجنتاه، وقال بتلعثم:

- أشكرك.

نظرت جوليا مرة أخرى إلى كريستي، قائلة:

- مرحبًا.

ضحكت كريستي، وتابعت قائلة:

- وداعًا جوليا، سوف ألقاكِ قريبًا.

بدت جوليا عابسة، وجهها يملؤه الغضب، وجذبت يد محمد دون أن تزيد حرفًا وسارا إلى الداخل.

استنتج محمد أن جوليا لم تهتم، فلم تسأله شيئًا، وقرر هو الآخر أن يتناسى الأمر.

* * *

كانت الساعة الثامنة صباحًا حين اصطحب عمر حلا من منزلها، ليقوم بإيصالها للجامعة بسيارته كالعادة.

طوال الطريق حاول عمر أن يجتذب معها أطراف الحديث، ولكن كلامها دائمًا كان قليلًا وحازمًا.

وعلل عمر بأنها هكذا بسبب استيقاظها باكرًا.

لانت ملامح عمر ونظر بحُبٍّ، فهو يشتاق لكلمة منها، وقال:

- عاملة إيه في الكلية يا حبيبتي؟

هزَّت رأسها بكسل:

- الحمد لله - وتابعت - وانت عامل إيه في المصنع؟
- كويس، الحمد لله.
- عارفة إني بعدّ الأيام عشان السنة دي تخلص قوي.
- ليه؟

أجاب عمر فورًا، وهو يشعر بالضيق، كيف لها أن تتناسى:

- جوازنا يا حلا، جوازنا اللي اتأجل كنا زمانا متجوزين، لولا دخلتي هندسة.

تململت حلا بارتباك:

- احنا.. جوازنا..أيوة أيوة..

شعر عمر بارتباك حلا، ورُغمًا عنه لمس الألم قلبه، فماذا لو كانت لا تريد هذا الزفاف؟ من الممكن أن تكون حلا لا تحبه.

أحكم يديه على مقود السيارة، وقال:

- انتي مش بتحبيني يا حلا، صدقيني لو مابتحبنيش، عَرفيني، ومش هزعل بس لازم اعرف عشان نبعد من دلوقتي، بلاش افضل اتعلق بيكي وانتي مش عوزاني.

تخضبت حلا من سؤاله، ونظرت له مطولًا، وهو يقرص بقبضته على مقود السيارة، ومحاولته الواضحة بكبح غضبه.

فهل هذه هي الفرصة المناسبة؛ ليتركا بعضهما بهدوء، ولكن كيف لها أن تكسر قلبه هكذا، هل يستحق منها أن تكسر قلبه؟

* * *

ترك سيف صديقه أثناء وجوده بمنزله، واتجه للنافذة الخاصة بغرفة الآخر، وسحب "سيجار" وأشعله، وانتصب بمكانه ملاحظًا نظرات صديقه بطرف عينه.

أخذ نفسًا عميقًا ثم زفره، وغمغم قائلًا:

- عاوز تقول إيه؟

ابتسم صديقه لفطانة سيف، وأردف:

- بصراحة مش عجبني اللي بتعمله ده، اللي بتعمله ده غلط، واحدة وخاينة، ومشيت، ليه زعلان عليها؟
- هتجنن، أصل لازم الاقيها، لو مالقتهاش ممكن حقيقي اتجنن.
- ليه؟ ليه عاوز تلاقيها؟ هيفرق إيه لو لقيتها يا سيف؟
- مش عارف، حقيقي مش عارف بس هتجنن، أنا كنت فاكر إنها كويسة، وحبتني بجد، طلعت ...
- خاينة.
- ....
- ماتزعلش من كلامي يا سيف، بس هي خاينة وانت خاين.
- أنا؟ ليه إن شاء الله؟ ده انا حبيتها بجد.
- حبيت حاجة مش بتاعتك، تبقى خاين.

- بس هي قالت إنها مش سعيدة، قالت إنها مش لاقية نفسها معاه.
- بس هي معاه، وخانته، الخيانة مابتتجزأش، هي تعبانة من حياتها معاه كانت سابته، لكن هي فضلت معاه، وضعفت بانجذابها ليك، وانت ساعدتها تخون، كنت الأداة للخيانة وشجعتها.
- بس انا حبيتها حقيقي.
- لو حبيتها ماكنتش خليتها تخون، كنت هتراعي ربنا فيها، وتحارب حبها وحبك ده لو هنسميه حب.
- صح هي خاينة، وزبالة.
- لأ، برضو مش كده.
- انت بتحاول تقنعني بإيه؟ أنا بكرهها بكره كل البنات، كلهم زبالة.

تظاهر صديقه بعدم الاكتراث، وهو يتناول كتابًا من كتبه، ويتفحصه، وقال:

- يعني اختك زبالة؟

برزت عروق وجه سيف، وأردف:

- أختي! ماسمحلكش، دي انا اللي مربيها، اختي احسن بنت في الدنيا.

قال، وهو يترك الكتاب من يده مبتسمًا:

- طيب، يعني في بنت كويسة اهو..

- وهتلاقي كتير برضو اخواتهم مربينهم، وأهاليهم كمان، بلاش تجربة أو اتنين غلط يعموك، ويوهموك إن كل البنات سيئة، صدقني.
- بس برضو انا هتجنن، نفسي اعرف أي حاجة عنها.
- لأ، انت تنساها، وكإنها ما عدتش عليك.
- مش هقدر، مش هقدر أنساها.
- خلاص بلاش تنساها، خليها درس ليك، الخيانة لازم لها اللي يشجعها تخون، لو كل إنسان راعى ربنا، وماشجعش على الخيانة، هتلاقي الدنيا أفضل، والخيانة مالقتش براح في حياتنا.

اختفت لمعة التعبير بعين صديقه، وقال، وهو يبتسم ابتسامة عريضة:

- خلاص بقى يا عم قُلنا درس ونتعلم منه، يَلا هنقضيها كلام يَلا أغلبك دور بلاي ستيشن، ونذاكر شوية، ولا انت جاي تتكلم وبس؟
- شعور بالضيق يعلو وجهه، واهتز قائلًا:
- طيب.

* * *

- بجد؟ وشقة حلوة يا محمد؟ طيب..الحمد لله.. استنى هجيب ورقة.. وقلم اهو يا حبيبي أسجل العنوان.. أيوة.. اشكر جوليا إنها طلعت جدعة كده.. والله حبيتها من كلامك عنها.. طيب قول العنوان.

(بعد تسجيلها العنوان أخذت تحثه على أن يأكل جيدًا، ويهتم بصحته).

أثناء دخول أحمد من المنزل استمع لصوت والدته، تتحدث عبر الهاتف مع محمد.

تلهف لسماع صوت شقيقه بشدة، قلبه يتوهج لسماعه، ومعرفة أخباره، ولكن هناك ما يمنعه، فمنذ سافر، وتركه، وبدوره أحمد لم يحاول التحدث إليه، أو الرد على رسائله الإلكترونية، مقتنع أنه تركه، وذهب بمحض إرادته إذًا لا يحبه، ولا يريده بحياته، إذًا هو الآخر لن يضعف، ويشتاق إليه.

هو الآن وحيد، لن يؤلمه بعد اليوم لا حبه لشقيقه ولا غيره، فقط سيحب نفسه ويعيش لأجلها، سيعيش هكذا ويموت أيضًا هكذا.

* * *

بعد أن ترك صديقه ذهب لمنزله، بدّل ثيابه سريعًا.

ونام، وهو يتذكر كلماته.

هل من الممكن أن يجد فتاة جيدة؟

وكيف لكلمات شقيقه القاسية عليه؟ عن أنها لم تكن تحبه يومًا، هو مجرد أحد شغل قلبها، وأشعرها أنوثة تفتقدها فأرادت البقاء معه، لكنها لم تحبه، ويجب عليه أن يأخذ من هذا الموقف عِبرة له بحياته.

بأن ليس هناك خائن، إن لم يجد من يحثه على خيانته.

حاول إقناع نفسه بأنها مجرد ماضٍ ولن يحب مرة أخرى، وهي بالتأكيد ستُعَاقب على فعلتها يومًا.

هذا ما يُصبّر به نفسه ويحاول إقناع قلبه به، حتى يستطيع أن يتعايش وينساها، وينسى ألمه منها.

* * *

حاولت حلا أن تظهر بنبرتها عكس ما يحمله قلبها من اشتياق، ولكن محاولتها كلها باءت بالفشل، فحقًا استطاع أن يجعلها تقع بشباكه.

- ها؟

قالها أحمد، وهو يحمل هاتفه، ويجلس على أحد الأرصفة داخل الجامعة، مكان هادئ لا يجمع سوى عدد قليل من الطلاب.

تُسرِع بالرد عليه بمنتهى الحزم، وقالت بصوت خفيض:

- لأ طبعًا يا احمد، مش هينفع اسيب المحاضرة.
- بس انا كده هزعل يا حلا.
- لأ، خلاص هاجي حاضر.

ابتسم أحمد، وغمرته السعادة:

- بحبك أوي يا حلا.
- همست بصوت خفيض، خوفًا من الدكتورأمامها:
- باي، يا أحلى تعب في حياتي.

تناولت حلا أشياءها، وقامت بهدوء، وعينا حنين من بعيدٍ ترقبها، وهي تودع المدرج بازدراء.

* * *

طيلة أشهر لم تَكُف كريستي عن محاولة الإيقاع بمحمد.

استدرجت كريستي محمد إلى ملعب كرة السلة، عن طريق أحد الزملاء الذي أخبره أن جوليا تنتظره هناك لأمرٍ هام. .

حين دخل من باب الملعب، أغلقت الباب بخفة.

استدارمحمد بجزع:

- مَن؟
- أنا عزيزي، اشتقت إليك، وأعلم أنّك أيضًا اشتقت إليّ بشدة.

حبس أنفاسه، حقًا هو يشتاق إلى ذلك اللقاء الذي جمع بينهما، لم تعوض عنه جوليا، ولو لواحد بالمئة.

بدا مِحتارًا حين قال:

- ماذا تريدين مني كريستي؟ أنتِ، وجوليا صديقتان.
- من قال ذلك؟ أنا وجوليا من ألدِّ الأعداء، أنتَ ثاني شخص تأخذه مني.
- ماذا تقصدين؟
- لا يهم.

اقتربت بحرفية، لمست بيدها أطراف يديه، تشابكت أيديهما ورجفة طفيفة تُلامس جسده، مسحت بيدها الأخرى على شعره، ووقفت أمامه مُقَبِّلة له.

انساق معها بلذة هذا العشق، وتلك المشاعر التي تنتابه بقوة بحضورها.

وبعد دقيقتين، سمعا اصطدام شيءٍ يقع، ليفوق محمد من نشوته مبتعدًا عنها.

شهقت كريستي:

- ماذا؟

تحرك محمد بعصبية نحو الباب:

- لا تحاولي معي مجددًا كريستي، لسنا لبعضنا، كانت غلطة ولن تتكرر مرة أخرى.

ألقت كريستي نظرة غاضبة تجاهه:

- ما بك محمد، لِمَ تفعل ذلك، أنا أعلم بأنك تستهويني مثلما أفعل، فعيناكَ تتكلمان، لِمَ تُصر على بُعدنا دومًا، لِمَ؟
- أنا لست بخائن كريستي، لست بخائن.
- جوليا إذن..

برقت عيناها، وهي تراه يهرع للخارج، وكأنه يكبح زمام نفسه عن الاقتراب منها، قالت، وهي تصطك أسنانها:

- سوف ترى محمد، سترين جوليا، سترين.

* * *

- تعالي هنا.

كان يهمس، وشعرت بالبرودة بصوته، وقالت:

- مالك يا احمد؟
- قربي مني الأول.
- بس احنا في الجامعة، لمّا نمشي.
- بقولك قربي.

نظرت حلا نحوه بسرعة، واقتربت دون اعتبار لمن حولهما، هو فقط يأمر، وهي تنفّذ، وهذا ما تحبه بعلاقتهما، أنه قوي عنيف، لا تستطيع حل لغز شخصيته.

حدق أحمد بعينيها، بوقاحة، وقال:

- وحشتيني، يَلا نمشي.

ارتجفت شفاهها، وهي تشعر بذاك القرب منه، وتلك النظرة الجريئة التي لطالما عشقتها به منذ نجح بإيقاعها بشِراكه، وقالت في هدوء:

- بس.. عمر؟

اقترب منها أكثر ممسكًا بيدها بعنف، وهمس، وقد شعرت بالعنف الذي يكتنفه، وقال:

- يَلا يا حلا، وحالًا.
- هزت حلا رأسها بيأسٍ:
- حاضر.

* * *

يجلس بأحد المطاعم بأمريكا..

يحمل جيتاره يلتفت الجميع حوله، ممتنون لصوته الرائع ولكلماته العربية المجتذبه لهم.

تجلس على البار من بعيدٍ تنظر إليه، تريد الحصول عليه بأي ثمن، اليوم أو غدًا سوف تحصل عليه، لن تنجح جوليا بسلبها محمد أيضًا.

يقول كلماته، وترغمه عينه على النظر إليها، فعيناه تشتاقان إليها.

حين انتهى من أغنيته طلبت منه جوليا، أن ينظر بعينيها، ويُغني لها أغنيتهما سويًا، التي عملت على ترجمتها بعد إعجابها بها، وأخبرته أنها خاصة فقط بهما.

قالت، وهي تمسك بيديه:

- هَيّا محمد، غنِّ لي، هَيّا.

ابتعد بعينه عن كريستي، وابتسم وأخذ يعزف، وحين بدأ كلماته نظر إلى كريستي:

أنا بحسد البحر، اللي كحل رموشك
واحمر شفايف، اللي زيّن شفايفك
ده انا بحسد اللي سهر عيونك
واحسد عيوني لمّا اكون يا حبيبتي شايفك

تنظر إليه من بين أصدقائها، هناك ترابط بينهم، عيناه تقول إنه يريدها وبشدة، إذًا لِمَ هذا العِند؟ لِمَ هذا البعُد؟ هي تريده، تريده وبشدة.

نظرت لجوليا، وهي تتأبط ذراعه، وتُقبّله بعد انتهائه من الأغنية، ليتوَرد وجهها، ويملؤه الغضب، وتقوم بدفع حسابها، والذهاب سريعًا من المكان.

* * *

سكبت القليل من القهوة كعادة كل يوم.

أخذت بجوارها قطعة من البسكويت، وقامت بإدخالهما لعمر، الذي حين رآها ابتسم، وقال:

- مش ممكن تتأخري عن معادك يا أمل أبدًا.

اقتربت من المكتب بخجل، وضعت عليه الصينية، وقالت:

- ازاي انسى حضرتك أستاذ عمر، معلش أنا آسفة بس مش هقدر احضّر الغدا.
- ليه؟
- لإن والدتي رفضت اروح لوحدي، ووالدي مش فاضي.
- مممم، المشكلة إن مين يوديكي ويجيبك يعني؟.
- أيوة للأسف، بابا مسافر يومها، وهو اللي بيوديني أي مكان، لو متأخر.
- أيوه عارف، طيب همّا ممكن يعترضوا لو أنا عديت عليكي؟

تورد وجهها خجلًا، وقالت:

- لأ، بس هنتعب حضرتك كده.
- لأ، مافيش تعب خالص، ده لو مافيش مشكلة.
- حاضر، هسأل والدي وارد على حضرتك.
- اتفقنا.
- بعد إذن حضرتك.
- اتفضلي.

* * *

يودع محمد أمريكا استعدادًا لرحيله إلى مصر لزيارة عائلته. علاقته بجوليا جيدة، وإن لم يحبها فعلاقته بها كثنائي رائعة.

لم تيأس كريستي من محاولة الاصطدام بمحمد، والتقرب إليه بشتى الطرق، وكم من مرة قام بطردها من غرفته؛ لمحاولاتها استمالته دون يأسٍ!

ولكن الغريب أنها منذ أكثر من شهر مختفية تمامًا، ولكنه لم يحاول مجرد البحث عنها، فهي قالت للجميع إنها بحاجة إلى أخذ راحة تسافر فيها مع أحد الأصدقاء.

استعد للسفر، واتجه للمطار بمصاحبة جوليا الذاهبة لإيصاله، ووداعه.

قالت والدموع تملأ عينيها :

- سوف أشتاق إليك محمد.
- وأنا أيضًا عزيزتي، لن أتغيّب طويلًا.
- سأنتظرك على "الفيس بوك"، لا تتأخر عليَّ.
- لن أفعل حبيبتي.

بدا محمد محتارًا، غير مرتاحٍ؛ فهناك ما يجعله يستدير للوراء، وكأنه ينتظر قدوم أحدهم لوداعه، متجاهلًا تمامًا.

انحنى، والتقط حقيبته مودعًا لها، طبع قُبلة هادئة على جبينها، واتجه نحو الداخل.

* * *

يجلسان سويًا بسيارته.

تنظر حولها خشية أن يراهما أحدٌ.

فتح بيده درجًا صغيرًا من أمام مقعدها، وأخذ منه "لفَّة شيك"، وقام بإعطائها لها:

- خُدي يا حلا.
- ده إيه؟
- تابلت.
- ليه؟
- عشان اكلمك عليه، عليه نت، وانا حطيت فيه شريحة، وعملت باقة، عشان اكلمك براحتي.

- وليه عملت كده يا احمد؟
- عشان أي وقت احب اكلمك، ألاقيكي.
- وهيفرق إيه ما احنا بنتكلم موبايل؟
- أوقات بيكون حد جنبك بتقولي مش عارفة تتكلمي، والصوت، لو في حد هتتكلمي شات.
- طيب.

بلع أحمد ريقه، وقال:

- هتخلصي موضوع عمر النهاردة.
- حاضر.

ونظرت حلا حولها، وتابعت:

- يَلا يا احمد نمشي من هنا، بجد بخاف من المكان ده أوي.
- المقطم ده معروف إنه مكان العشاق، ومكان هادئ ماحدش بيجي فيه.

أردفت، وهي تنظر حولها:

- افرض حد شافنا؟
- لأ، ماتخافيش هنا مافيش حد بيمشي أصلًا.
- طيب نمشي يا احمد معلش.
- طيب، بس هتعملي إيه لو وديتك الهرم بقى؟
- تخيل بسمع عنه، ونفسي فعلًا اروحه أوي.
- هنروحه سوا، أصل لازم اكتشف المكان ده.

أدار محرك سيارته، واستدار بها، وقال:

- حلا، بتحبيني؟
- أوي يا احمد انت مش متخيل ازاي، انت الشاب اللي عشت احلم بيه.
- يعني عمرك ما عرفتي حد غيري؟
- عمر.

تمعن فيها، وعَلَت وجهه انفعالات الانزعاج:

- زفت.
- أيوة عُمرى، أنا مش فاتحة قلبي محل لكل واحد يقعد فيه شوية.

قطب أحمد حاجبيه، وقال:

- ليه بتقولي كده، أنا قلتلك إيه عشان الرد ده؟

لمست حلا بنبرته الانفعال، تحدثت بنعومة فهي تعلمه جيدًا حين ينفعل لن يظل، ولو كان يعشقها:

- أنا آسفة، ماقصدش .
- أُووووف كل دقيقة آسفة، أوف بجد.

لمعت عيناها، تكره هذا الضعف، وأيضًا تعشق ضعفها فيه، وأمامه، ولكنها تكره أنه يكون بألم، وقالت:

- يا احمد، أنا آسفة مابحبش ازعلك، عمري ما كنت ضعيفة كده، قدّر اللي انا فيه.

- خلاص بقى.

أسرع بسيارته، دون أن يزد حرفًا آخر.

تنظر إليه، وكل ما يشغل بالها أنه لو كان لها العودة للوراء؛ لكانت منعت نفسها من الوقوع بشِرك حبها لشخص بقسوة قلبه، كيف لفتاة مثل حلا بكل ما فعلته أن تكون ذليلة هكذا أمام أحدٍ يومًا؟

* * *

نظرات مريبة تجعل الرعب يتسلل لقلبه.

يسمع حديثًا عن مطلوب للشرطة الفيدرالية، بالطبع هناك سوء تفاهم.

وجد أحد العاملين بالمباحث هناك يمسك به من ذراعه:

- نريدك قليلًا.
- لماذا؟
- سوف تعلم الآن.

قاموا باجتذابه داخل أحد غرف المطار، واحتجزوه بها.

* * *

- البنت اهه، شوفتوا حلوة ازاي؟

نظر سيف حيث ينظر أصدقاؤه، حقًا فهي جميلة، ولكن كيف كما يقولون أنه ليس لها علاقة بأحد.

وتحدث بصخب:

- عاوزين تفهموني بنت بالجمال ده، وعمرها ما ارتبطت ؟

تحدث صديقه، وهو يقوم ببيع أحد أدوات مدرسية لفتى صغير، وقال:

- فعلًا، البنت محترمة جدًا هي جارتي، شقتها في البيت اللي قدامنا، عمري ما شُفتها مثلًا كلمت حد، أو فضلت ترغي في التليفون، في البلكونة، أو حد من شباب المنطقة كلهم قدر يكلمها، بجد بنت أثبتت إن في لسه جمال وأخلاق.

أضحكه ما قاله صديقه:

- انت عبيط يا بني؟ مافيش بنت كويسة، اسمع مني انا.

انفعل صديقه، وقال:

- انت معقد، البنات المحترمة كتير، إن كان قلة بيحاولوا يسيؤا للبقية بأخلاقهم، ده مش معناه إن الكل سيئين.

بدا سيف مُفكرًا، ولم يجادلهم، فقط أخذ ينظر إليها، وهي تقف مع صديقاتها وتودعهن، راحلة بعيدًا عنهن.

* * *

ملل يملؤها تتمنى أن تصرخ، تُعلِن عن مَقتها لهذه الحياة المميتة، لو لها أن تُعلِن عن غضبها منه، وهذه المعيشة الباردة.

ليس لأنها أصبحت أكبر سنًا، وأعوامٌ كثيرة مَضت بينهما عليها قتل مشاعرها، تشعر بموت شيء مهم داخلها، فلم تكن المشاعر يومًا جُرمًا يستحق الردم، قررت أن تُصارحه، وتضع حدًا لهذا العذاب.

ولكن، ولسوء حظها اليوم محمد على وصول، ليس من المفترض إثارة مشاجرة بعد هذا الغياب الطويل.

تجملت كالعادة بابتسامتها، وسمعت صوت يوسف من الخارج وصوته يعلو:

- ازاي يعني؟ مُحتجزينك ليه؟ إيه حصل؟ طيب.. خلاص.. هتصرف يا محمد، اقفل.

وجدت سميرة نفسها تسرع بقدَميها نحو يوسف بهلع:

- في إيه، مين ده اللي محتجزينه؟!
- محمد.
- ابني، ليه؟؟!
- ماعرفش، هنزل واعرف.
- هما محتجزينه فين؟
- في مطار أمريكا مش هنا، هسافرله، جهزيلي شنطتي.

برقت عيناها بالدموع، وانهمرت على وجنتيها، وتابعت:

- ابني ماله يا يوسف، ابني فيه إيه؟ ماتكدبش عليّا.

أجابها بعصبية:

- بقولك حضريلي شنطة السفر يلا، هتفضلي تعيطي كده يعني ونسيبه؟
- قولي الأول، في إيه؟

انفعل أكثر، وهو يتناول هاتفه، جاريًا اتصال بأحد، وأجابها:

- لو عاااااارف هقولك، ارحميني، واخلصي بقى.
- وتابع كلامه بهاتفه:
- ألو.

تراه يتحدث بصلابة، يزداد سخطها عليه يومًا بعد يوم، ونظرة عينيها تزداد ألمًا ومرارة.

يا له من إنسان متبلد القلب، بارد المشاعر، قاسي المعاملة.

لا تعلم لِمَ تظل تحبه وتبرر له؟ حقًا لا يستحق، فيومًا عن يوم أظهر بشاعة قلبه، وحبه العظيم لذاته، تمنت لو تصرخ بوجهه وتعنفه، ولكن الآن كل ما يهم ابنها.

رقت الدموع من عينيها، ويحدّثها قلبها بأن هناك شيئًا خطيرًا حدث لابنها، تتمنى لو يقبل ويأخذها معه، ليته يفعل ولكنها لن تطلب مرة أخرى، لا تريد كرهه أكثر حين تلمس قسوته مرة أخرى.

* * *

رن هاتفها أثناء صعودها الحافلة، بعدما قام أحمد بإيصالها إليها.

نظرت للهاتف، هذا الشاب المثير الذي كلما رأت اسمه انتفض قلبها، فهو الذي يعرف كيف يلامس مشاعرها، ويوصلها لِمَا تريد، ولكن اليوم تشعر برغبة ملحة أن تبعده عنها، هذه العلاقة التي تجمعها به بدأت تثير اشمئزازها.

حبها لأحمد يفقدها كل تركيزها، لم تَعُد تريد، أو تشعر بأحد غيره، هو فقط استطاع أن يمسك زمامها، استطاع أن يستولى على حلا كأنثى، وقلب.

أغلقت الهاتف، ليعلم المتصل بدوره أن أحدًا جوارها فلن تستطيع التحدث معه.

ولكن أخافها تفكيرها ماذا لو هجرها أحمد؟ لن تسطيع الحياة دونه، أصبح كل شيء بالنسبة لها، وتثق تمام الثقة أنه أيضًا يحبها، لكنه غامض بعض الشيء.

* * *

يقف عمر بسيارته يرى أمل تتقدم نحوه بخطى بطيئة، خجلها يزينها، لمسات رقيقة من مستحضرات التجميل، تبرز بساطة ملامحها، وجاذبية وجهها.

ترَجل من السيارة، قام بفتح الباب لها، وأسرع ليصعد بجوارها، وأدار السيارة.

جلست جانبه، حلمت منذ يوم وافق والدها بأن تذهب معه، كيف سيقول لها أنتِ جميلة، عينكِ رائعة، ثوبك أنيق؟ ولكن هذا لم يحدث.

فهو لم تحِد عينه عن الطريق، وباليد الأخرى متناولٌ هاتفه يحاول الاتصال، لا تعرف بمن؟

سمعت أمل تحدثه بالهاتف ليقطع هذا الصمت الرهيب:

- انتي مشغولة مع مين يا حلا؟

كلماته أفاقتها من هذا الحلم الذي كانت تنسجه، فليس من حقها أن تفكر بأحد يحب أخرى، ولكن رُغمًا عنها تفعل، لا تستطيع كبح مشاعرها تجاهه.

كلماته لحلا، وهو يقول: "رجعتي يا حبيبتي يعني، وكويسة؟ معلش، بس قلقت عليكي".

تجعل قلبها ينزف، لا تحب حلا منذ رأت صورتها على مكتب عمر، لم تستطع فتح قلبها لها، بها شيء تبغضه، وتعلل عدم ارتياحها لها بحبها لعمر.

* * *

تُغلق مع عمر الهاتف، وهي تشعر بالوغز داخل قلبها.

يجب لهذه الحياة أن تنتهي، عليها وضع نهاية لهذه المعاناة، حزمت قرارها لا تريد أن تبقى سوى معه، فقط هو..أحمد.

استطاع أن يغنيها عن الجميع بحرفية، استطاع اجتذابها إليه دون إدراك ودون تمهّل، فقط وقعت أسيرة له.

أخذت الخط القديم الذي قالت لوالدتها منذ أمد، بأنّه لا يعمل، وقامت بإتلافه، تحملت تعنيفها لها فقط؛ لتتمكن من شراء واحد جديد، وجعل هذا لنزواتها.

قامت بإهلاك الخط بمنتهى العزم، دون ندم، فلن تستطيع أن تشعر بأحد غيره، هو فقط من استطاع ملامسة قلبها، وعقلها، ومشاعرها هو استطاع أن يغنيها عن الجميع، لتشعر معه بكل ما أرادت.

* * *

تلفت انتباه سيف يومًا بعد يوم، ففتاة مثلها رائعة الجمال، كيف لها ألّا ترتبط من قبل؟

حديث أصدقائه عنها دومًا، وثناؤهم على أخلاقها يومًا بعد يوم، يجعله يُصِرعلى أن يؤكد أنها ليست سوى فتاة كبقية الفتيات ممن يدعون البراءة.

اقترب منها، وهي تذهب من أمام مكتبه، الذي يجلس به دومًا مع أصدقائه.

مكتبة يملكها صديق لهم ورثها قريبًا عن والده، تقطن على بُعد شارعين من منزله، وتقوم بتجميعهم يوميًا عِوضًا عن المقهى.

- أنا جاي اهو.

قال كلمته لأصدقائه بالمكتبة، وهرع وراءها، أخذ يدخل شارع وراء آخر حتى وجد منعطفًا، وقفت به لتوقف سيارة أجرة وتصعد بها، أسرع بدوره، وأوقف نفس السيارة، وقال مثلها: وسط البلد، وصعد بجانب السائق، وهي جلست بالخلف.

داخله إصرار عظيم أن يُبرهن له قبل الجميع أنها مثلها مثل الكثير من الفتيات المنحلات، فقط تتدعي البراءة، وهو سينجح بإيقاعها بشِراكه.

نظراته تلتهمها من مرآة جانبية، تجلس بهدوءٍ، تنظر من الزجاج الجانبي جانبها، جمالها رائع وجذاب.

ينظر بتحدٍّ، كيف لها أن تكون جيدة، وتجلس وحدها بتاكسي بهذا الوقت المتأخر من الليل، حيث كانت الساعة الثامنة مساءً. يراهن أيضًا أنها على موعدٍ مع أحدهم، وإلا لِمَ هي متأنقة هكذا؟

بعد أكثر من خمس عشرة دقيقة وصلا إلى وسط البلد، تحدثت بصوتٍ رقيق وهاتفها يرن، أجابت، وهي تدفع الأجرة :

- هنا لو سمحت.

وقالت بهاتفها: خلاص انا وصلت، جاية اهو.

ابتسم حين سمع حديثها، وبَرِقَت بعينيه علامة الانتصار.

وقامت بدفع الأجرة،وذهبت.

مثلما فعل هو، بدوره أيضًا، وترجَّل وراءها.

* * *

كان الحفل هادئًا، عينا أمل لم تتوارَ عن عمر، ولو للحظات.

لاحظ كل الموجودين اهتمامها به، دونه هو، لم يَلحظ حتى وجودها، فقط اهتم بالتحدث عن التوسعات التي ستتم، أنهى العشاء بهدوء، وودع الجميع.

أثناء قيامه بإعادتها للمنزل.

طلبت منه الانضمام إليهم، ولكنه اعتذر بتهذيب، قائلًا:

- شكرًا يا أمل بس محتاج ارتاح، كان يوم مرهق جدًا.

كان والدها عائد من السفر وقتها، اقترب منهما بابتسامة،

ورحب بشدة بعمر:

- أهلًا وسهلًا يابني.

ترَجل عمر من السيارة، بدا الخجل على وجهه:

- ازيك يا عمو.
- سعيد بمعرفتك يا بني قوي.
- حضرتك انا الأسعد بجد، ودلوقتي عرفت ليه أمل طيبة كده، ما شاء الله طالعة لحضرتك.

شد والد أمل على يد عمر مصممًا على ذهابه معهما، وتقديم واجب الضيافة له بإصرار مبالغ فيه، مما جعله لا يستطيع الرفض، قام بالذهاب معه.

* * *

تذهب عيناه معها أينما ذهبت.

حتى وجدها تسلم على سيدة بالأربعينات، ومعها فتاتان أُخريان، ومن حديثهن عَلِمَ أنها خالتها وابنتاها.

تضايق لأن ذهابه وراءها كان سُدى.

كان يحلم كيف سيعود لأصدقائه وهو يحمل لهم شهادة موثقة بأنّهُ رآها بعينه تقابل أحدهم، ويبرهن لهم، ولنفسه أنه ما من فتاة جيدة حاليًا.

ولكن، الآن لن يستطيع التفوه بكلمة، فهذه الفتاة أثبتت له أنه مُخطئ، ويبدو أنهم مُحِقون.

تحرك بعصبية، وهو يعلن أنّه لن يقول لهم شيئًا الآن، وسوف يقوم بمتابعتها، فهذه مجرد مرة خاطئة. بالتأكيد هي على علاقة بأحدهم، يثق بهذا وسوف يثبت هذا، والأيام بينهم.

* * *

تناسى عُمر الوقت أثناء وجوده بمنزل أمل.

يجلس منذ ساعتين، ولم يَمِل أو يطلب الذهاب.

(استمر حديثه ووالد أمل طويلًا، يحدّثه الوالد عن كفاحه، وتعبه طيلة تلك السنين، ولكنه يحب ذلك، فما عانى من أجله يستحق، وهذه الابنة الرائعة التي تجعله فخورًا بها يومًا عن يوم).

- فعلًا يا عمي آنسة أمل، ونعم الأخلاق.
- واحنا بنتعب عشان مين يابني ما هو عشانهم، يلا الحمد لله، أهم حاجة الأخلاق.

ابتسم عمر لبساطة هذا الرجل، وفطرته الواضحة.

قاطعتهما أمل، وهي تدعوها للعشاء، أصبح الطعام جاهزًا.

وقف عمر مُصرًا على الذهاب:

- لأ، عشا إيه؟ ماقدرش.

ونظر بساعته، وقال:

- يااااه، ده انا الوقت خدني جدًا، لازم امشي.

تحرك الأب نحوه، وقال بإصرار:

- والله ما هتمشي غير لما نتعشى سوا، ولا مش عاوز يبقى بينا عيش وملح؟

بدا عمر محتارًا لم يعرف ماذا يقول، ثم تابع بخجل:

- حاضر.

ابتسم والد أمل، ووضع يده على كتف عمر بطيبة، مما أثار الدهشة، والتساؤل داخل عمر، وهو ينظر إليه مُحدثًا نفسه:

- فعلًا، الطيبة مش كلمة، الطيبة فعل، وشعور بيفرض نفسه بين الناس، وفي ناس بمعاملتهم بنحس قد إيه فعلًا إن الدنيا بخير.

* * *

يجلس بغرفته، لم يعلم ما حدث مع شقيقه حتى الآن، فكُلٌ منهم بوادٍ،

سميرة تُغلق غرفتها عليها، تصلي، وتبكي وتسأل الله أن يلطف الله، ويكون أمرًا طارئًا فقط .

كلما سمعت هاتفها الخلوي تسرع لملاقاته بلهفة، خشية أن يكون يوسف، ولا تجيبه.

بعد أكثر من ثمانٍ وأربعين ساعة رنّ الهاتف ويوسف المتصل.

أسرعت بعين مغشية من قلة النوم، والبكاء، وقالت بلهفة:

- يوسف، طمني يا يوسف، فين محمد؟

تحدث بهدوء قاتل، وبنبرة لم تعهدها منذ يوم اجتمعوا سويًا، وقال:

- مقبوض عليه بجريمة قتل.

لم تدرك كيف فلتت تلك الصرخة منها، فلم تستطع كبح هلعها، وقالت:

- ابني يا يوسف، محمد يا يوسف، محمد وقتل.. محمد؟!!

لم يستطع مجاراتها، وقال بهدوء:

- هقفل دلوقتي، ولمّا يحصل شيء جديد هكلمك.
- أنا هاجيلكم يا يوسف، هاجي لو لقيت حجز دلوقتي حالًا هاجي.
- تيجي فين انتي اتجننتي، قولتلك لما اعرف حاجة جديدة، هكلمك.

ذُهلت سميرة من حدة يوسف، وانفعلت:

- انت إيه يا أخي، انت إيه، مافيش في قلبك رحمة، إيه قسوة القلب دي، حرام عليك، حرام عليك.

خاطبها بنفس نبرته الساكنة، وقال:

لكل حدث حديث يا سميرة، مش وقتك دلوقتي، مع السلامة.

أغلق الهاتف بوجهها، عَلَت وجهها انفعالات الانزعاج.

يومًا عن يومٍ تبغض هذه الحياة البائسة، تندم على ارتباطها بشخص لا يستطيع سوى حب نفسه، ورسم شخصيته، لم يعرف قلبه مشاعر الرحمة، والشعور بقلب أم ينفطر قلبها على طفلها.

لو تنتهي هذه الحياة، ويكون لها فرصة باختيار حياة جديدة، لكانت أشياء كثيرة تغيرت، وأولها هذا الرجل.

* * *

بعد أن أخذ الطعام من عامل التوصيل، عاد مرة أخرى لغرفته.

وعلى صوت أحمد سعد بدأ طعامه.

بدأ بأكل طعامه بهدوء، غير مباليًا بوالدته والده، لم يهتم مجرد السؤال أين هما، ولِمَ البيت هادئ هكذا؟ فقط يشعر بالسعادة، لذلك الهدوء وعدم اضطراره لرؤيتهما.

سمع صوت هاتفه بأغنيته المفضلة:

اللي في جراحي نسيني، وفي فرحي بيبكيني
حد الله بينه وبيني، وبين الهوى
ضيعت عمري عليه، شوفت الحياة بعينيه
طمني ليه، واتاريه باع الهوا..

وجد اسم حلا على الهاتف، أغلق الصوت، وعاد مرة أخرى يكمل طعامه بهدوء.

* * *

يجلس يوسف مع محمد بالقسم، ومعه صديقه، ومحامٍ كبير معرفة صديقه سَهّل لهما هذا اللقاء داخل قسم الشرطة الأمريكية.

محمد -وجسده ينتفض- يقول:

- كريستي ماتت، مين قتلها يا بابا، ليه يموتوها ليه؟

انفعل يوسف، وأردف:

- دلوقتي مش مشكلتي ماتت ليه، مشكلتي ليه بصْماتك كانت على السكينة؟

- ماعرفش يا بابا، ماعرفش.

- بس احنا لازم نعرف، احكيلي، عرفتها ازاي؟

- عرفتها عن طريق جوليا، هُمّ أصدقاء.

تحدث المحامي معهم:

- علاقتكم كانت عاملة ازاي؟

- مافيش بينا علاقة، هي زي أي حد كان موجود.

- لو في حاجة مخبيها يا محمد قول، عشان نقدر نساعدك.

تردد محمد قليلًا، ونظر لعينيّ يوسف، وأومأ رأسه بالنفي:

- مافيش حاجة أقولها، بجد انا بس نفسي اعرف مين موتها وليه، ليه؟

* * *

أنهى طعامه، وأخفض صوت الأغاني، وهدّأ الضوء قليلًا ونام على سريره، وقام بالاتصال.

- وحشتيني.

تنفست حلا ببطء، وقالت:

- انت بجد على طول وحشني، حتى وانا معاك بتوحشني أوي، انت ازاي وصلتني لهِنا يا احمد، ازاي توهت فيك كده؟
- عشان بجد حبيتك، أنا حبيتك بجد يا حلا، صعب احب واعترف لحد إني بحبه، أوعي في يوم تخونيني، أو تبعدي.

كان صوت حلا هامسًا، وكانت أيضًا مستلقية على سريرها، وهي تقول:

- عمري يا احمد، انت مش متخيل أنا بحبك ازاي، ازاي أنا فعلًا عايشة عشانك، وليك وبس، أنا بس دلوقتي عرفت يعني إيه حب، ويعني إيه تعيش عشان حد بتحبه، وبس.
- أقولك سر؟
- يااااريت.
- أنا هتقدملك، وهتجوزك.

شهقت حلا، وفزعت من على السرير، وهي تقول:

- بجد يا احمد، ممكن؟!
- أيوة طبعًا، أنا بجد حبيتك، وهتجوزك.

- بس انت قلت إنك مابتحبش حد، ده غير إني أحيانًا بحس منك ببرود.
- انتي مش حد، انتي حبيبتي، والبرود ده أقل درجاته معاكي، أنا فعلًا بتعامل مع الكل كده، بس معاكي أنا مش كده، أنا معاكي حد تاني، حد بيحب بجد، ومش حابب يعترف أنه فعلًا حب، وفي حد مهم في حياته كده.

تنهدت بعمقٍ، وقالت، وهي تعود لتضع رأسها على وسادتها:

- أنا بحبك أوي.
- عملتي إيه في موضوع عمر؟

بدا التوتر بصوتها، وهي تقول:

- هسيبه يا احمد، بس مش عارفة ازاي؟
- يعني إيه مش عارفة ازاي؟
- يعني صعبان عليّا اجرحه، بجد عمر طيب جدًا انت مش عارفه.

زفر أحمد بغضب:

- صعبان عليكي، طيب خليكي معاه بقى، وماتحاوليش تتكلمي معايا تاني.
- بس.. ألو، أحمد يا احمد.

اتسعت عينا حلا، وهي تنظر إلى الهاتف، وتحاول معاودة الاتصال بأحمد دون جدوى، فكالعادة، لن تستطيع التحدث معه، مادام أراد الابتعاد.

جلست تتألم لما فعلت بنفسها، هي من أوصلت نفسها لتلك الحالة، عشقت هذا الفتى رغم كل شيء.

فمنذ اليوم الأول، لا يحب سوى نفسه، نفسه فقط.

لتتذكر كيف وقعت شَرِيكة لحبه.

داخل المحاضرة،تجلس حنين، وحلا.

حنين بضيق:

- يعني إيه تكلميه يا حلا؟
- واحد دافع عني يا حنين، ضرب شباب بيعاكسوني، أقل حق ليّا يعني إني أشكره.
- لأ، ماينفعش طبعًا تكلمي ولد، خلاص هو دافع عنك وخلصنا.

يومها تجاهلت حلا كلام حنين، وحين خروجهما من المحاضرة اقتربت من أحمد، وصديقه وهما بقرب سيارته، وتركت حنين دون التفوه بكلمة واقتربت من أحمد بهدوء، وأردفت:

- ميرسي جدًا لحضرتك.
- تحت أمرك.

نظر أحمد إليها مطولًا وقتها، وطلب منها أن يتحدث معها لدقيقة بعيدًا عن صديقه، ووافقت.

نظرات جريئة تفترسها، لم تعترض عليها رغم عدم حبها لها، ولشخصيته الغريبة، فقط استمعت إليه:

- انتي اسمك إيه؟

قالت بنبرة ناعمة:

- حلا
- الله، تعرفي إن اسمك بجد حلو أوي.
- ميرسي، بعد إذنك.

قال بقوة، وهو يحدق فيها:

- أنا لسه بكلمك، ازاي تسيبيني، وتمشي؟!

حدقت فيه باستسلام، ثم هتفت:

- عاوز مني إيه، حضرتك أنا شكرتك وخلاص.

انتصب في مكانه، عيناها تنظران إليها بوقاحة لم تجذبها وقتها مثل الآن بل جعلتها تنفر منه، ونظر للهاتف بيدها، ثم لعينيها، وأخذ الهاتف بخفة.

أخذت ترقب بفضول، ماذا يفعل وما الذي يريده منها؟ وجدته يستهزئ بهاتفها، ويقول:

- إيه الموبايل الأنتيكة ده، لسه حد بيشيل موبايل زي ده يا بنتي؟

تطلعت إليه، والدموع تملأ عينها، وقالت:

- انت إنسان سخيف بجد.
- انتي هتعيطي، أنا بهزر معاكي.

وقام بالاتصال من هاتفها لهاتفه، وقال بهدوء، دون مراعاة لحزنها:

- إية الرقم الجميل ده؟

انتفضت غضبًا، وهي تشعر بالاشمئزاز من هذا الشخص.

أخذت هاتفها من يده بسرعة، وقامت بالذهاب بعيدًا عنه باتجاه حنين، وهي تبكي، لم تُعنّفه على اتصاله من هاتفها، فقط أرادت الابتعاد عنه.

حنين، وآه من حنين، وعلاقتهما، كيف ساءت لهذا الحد، فأحمد كان سبب ابتعادها، وحنقها عليها.

لم يحاول أحمد أيضًا وقتها الذهاب وراءها فقط، وقف ينظر إليها، وهي تبتعد، وتعلو وجهه ابتسامة سمجة.

تحجرت الدموع بعينها من جديد، وهي تتذكر طريقته، يومًا عن يوم حبها يزيد له رغم قسوته، لكن ما للكلمة من معنى.

* * *

ثائرة على كل شيء.. منزلها.. نفسها.. أغراضها.. أبنائها.. وعلى يوسف أكثر شيء...

توجهت بانفعال نحو غرفة أحمد، وقاطعت وحدته، وهي تقول:

- انت بتعمل إيه؟

الغرفة ضوؤها خافت فقط ضوء منبعث من الشرفة، موسيقى هادئة، نائم على السرير، وكأنّه بعالمٍ آخر، أضاءت النور، وهي بنفس انفعالها:

- انت إيه يا أخي، انت مش عايش معانا؟!

تطلع أحمد ببرود في العينين الواسعتين الممتلئتين بالغضب، وقال في ثبات:

- ومن إمتى حد في البيت ده بيهتم بالتاني؟

ترقرت الدموع من عينيها رُغمًا عنها، بدأت قواها تضعف، وقالت:

- أخوك، أخوك يا احمد، اعتقد ده يهمك تعرف ماله؟

ضعفها لم يشفع لها لديه، بل زاد من حنقه عليها، واستمر بنبرته الباردة:

- مش عاوز اعرف حاجة عن حد، عاوز انام، ممكن تخرجي؟

جاهدت لتحافظ على هدوئها، وقالت بضعف:

- محمد متهمينه في جريمة قتل، ماتشغلش بالك بينا، خليك لوحدك، اتبسط وانت وحيد.

فزع أحمد وقام سريعًا، وهو يقول:

- بتقولي إيه، بتقولي إيه؟

أحكمت قبضتها على الباب، خوفًا أن تقع من شدة تأثُّرها، وقالت:

- محمد متهم بجريمة قتل، ابني بيضيع والجحود جوة منك انت وابوك بيزيد، عمري ما شُفت في قسوة قلوب زيكم.
- أنا اكتسبت القسوة دي منكم.

كاد أن يفتح معها ماضيًا وَلَّى وأثاره هو من يعانيها الآن، وقال بفضول:

- محمد! هو فين؟
- في أمريكا.
- يعني متهم في جريمة قتل هناك؟

* * *

يومًا عن يوم تعلق سيف بتلك الفتاة يزداد..

يجذبه فضوله إليها، وتحول من شغف وقوعها بشِركه -إنها كغيرها مجرد مدعية للفضيلة- إلى اهتمامٍ واضحٍ بأن يصل إليها، ويتحدث معها، فأخيرًا فتاة أثبتت جدارة أن تنال ثقته.

فمكوثه شِبه الدائم بمكتبة صديقه كان كافيًا ليلازمها، ويتابع يوميًا خطاها.

* * *

تجلس والدة حلا تعد الغداء، حين سمعت باب المنزل يدق.

أسرعت بدورها ورأت من بالخارج.

إنه عامل توصيل البريد يتساءل عن المدعوة: زهرة سيف الدين.

قالت بدهشه:

- أيوة انا، نعم.
- معايا جواب لحضرتك.

قاطعته:

- جواب من مين؟
- حضرتك ممكن تستلميه بس ياريت البطاقة.

* * *

ولأول مرة منذ أمدٍ يقوم أحمد بالاتصال بيوسف.

عندما سمع صوته، هتف غاضبًا:

- ألو، فين محمد، محمد فين؟؟

تحدث يوسف، بنفس النبرات الباردة:

- هو خلاص، أنا مافيش ورايا غيركم.
- حضرتك أنا مابكلمش حضرتك عشان عاوزك ولا بسأل عليك، أخويا وبسأل عليه، حضرتك تقولي إيه اللي حصل؛ لإني مقدرتش افهم منها حاجة بسبب عياطها.

شعرت سميرة بالألم، لأن ابنها لا يريد قول أمي حتى بهذا الوقت العصيب، ماذا حدث لكل هذا الكُره؟ هل، حقًا لأنه يشبه أباه أم هو خطأ فعلاه؟!

وتابع أحمد حديثه:

- اللي هي مين دي، وانت بتتكلم معايا كده ازاي؟!
- اتكلم ازاي يعني، ممكن تقولي أخويا فيه إيه، واجي لكم ازاي؟!
- مع السلامة، ومافيش اتصالات تاني، لحد ما انا اتصل، وابلغكم عن أي جديد، ولينا كلام لما ارجع.

ظل أحمد يحاول استيعاب أنّه قام بإغلاق الخط بوجهه، ويصيح:

- ألو، ألو، رد يا غبي.

قالت سميرة بلوم:

- عيب يا ولد، في ولد يقول لباباه كده؟!

اقترب منها بانفعال، وعين مليئة بالغضب، وقام بدفعها خارجًا:

- اطلعي بره، سيبوني لوحدي، بكرهكم كلكم، بكرهكم.

وأسرع إلى وسادته يُخبئ بها دموعه لأول مرة، أول مرة تعرف الدموع عينيه..

* * *

تشعر بالوخز داخل قلبها.

تريد البطش به مثلما فعل هو دومًا.

ولكن كيف؟ فهي ستموت عليه، تتألم لرؤيته، يومًا عن يوم تريده، وبشدة هو استطاع الاستحواذ عليها، فلا ترى غيره أمامها.

كيف قال دومًا إنها استطاعت أن تغنيه عن عائلته بأكملها، وكيف هما الاثنان مُكملان لبعضهما؟

أراد الاحتواء بين ضلوعها.. خبّأته، أرادت الاختباء، وجدت نفسها بعالمه آمنة.

فكيف إذًا لهما أن يبتعدا عن بعضهما، والحب يزداد ويقوى بينهما يومًا عن يوم.

* * *

راكعة بين يدي الله ..

تقوم بالتوسُل إليه، أن يهدي الله ابنها الأكبر، وينقذ صغيرها مما هو واقع به.

فكيف أصبحت تعيش وسط هذا الكم الهائل من التبلد؟!

ابن جاحد متعصب، حقود لا تعرف قلبه الرأفة أبدًا، وزوج أناني يحب نفسه ومكانته، لا يستمع سوى لرأيه وتنفيذه.

مَن المُخطئ فيما وصلوا إليه الآن من جحود يملأ حياتهم؟

* * *

وقفت، والغضب يكسو وجهها، وتقول:

- أعمل إيه يا حاج، هتجنن ازاي يجيلها الجرأة تبعتلي بعد كل السنين دي؟

تُحدثه بالهاتف، والحقد يملأ عينها، ليقوم بالرد عليها:

- ما دام بعتتلك يا زهرة، يبقى في شيء كبير، روحيلها وانا هاجي معاكي.
- لأ، مش هروح، مش كفاية هي السبب في موت بابا، مستحيل، يارب، تموت وتريحنا.
- حرام عليكي، كل إنسان بيغلط، وانتي ماتعرفيش طول السنين دي حصل معاها إيه..
- دي كاتبه إنها في بورسعيد، عايشة هناك.
- يوم الجمعة اعملي حسابك هنروح، ويلا دلوقتي اقفلي عشان جايلي زبائن.
- لأ، أنا مش هروح.

جمّد صوته، وقال:

- مع السلامة، لما ارجع نتكلم.
- طيب.

شعور متضارب داخلها ما بين اشتياق وحنين لصغيرتهم، وبين حقدٍ ولوم عليها بسبب ما فعلت، أفقدتها الثقة بها، جعلتها تحقد على كل فتاة،

تخشى أن تزوج ابنها، تتمنى التخلص من ابنتها اليوم قبل الغد، فلم تكُن الشقيقة بحياتها سوى نكسة أقضت عليها.

يعود سيف من الخارج، يجدها قابعة بزاوية من زوايا المنزل، اقترب منها، وجلس في هدوء:

- مالك يا ماما؟
- كويسة يا حبيبي، مالي؟
- لأ، شكلك متضايق.
- أه شوية، بقولك يا سيف ما تيجي نشوفلك بنت كويسة، ونجوزك.

كان رد فعله مفاجئًا لها؛ فقام من مكانه بدهشة، وصرخ بسعادة:

- انتي بتتكلمي بجد يا ماما، تخيلي إني كنت جاي أقولك لو ينفع اخطب بنت، وخايف من رد فعلك لإني لسه صغير،وخوفي إني مش هعرف الاقى زيّها من كتر ما راقبتها واتأكدت من أخلاقها، والاقيكي بتقوليلي كده، أكيد أمي دعيالي.
- أنا فعلًا دعيالك يا نورعيني.

عرضت ابتسامة سيف، وقال:

- يعني هتخطبيهالي يا ماما؟
- أيوة، هخطبهالك، ده يوم المنى، بس تكون بنت راقبتها، ومتأكد من أخلاقها كمان.

قام سيف مقبلًا جبينها، وقال:

- حبيبتي يا ماما، يا أعظم أم في الدنيا.

تقف حلا وراء باب غرفتها، تغمر وجهها الدموع، لم تعرف يومًا هذه العلاقة بينهما، لم تشعر قَط بتلك الحميمية، لا تعرف ما هو ذنبها كي تُحرَم من تلك المشاعر، وهذه العواطف بين أم وابنتها.

تعود مرة أخرى، وتُغلِق عليها غرفتها هي وجدرانها ستحتويها، كما يفعلون دومًا، فلم تجد أحن منهم عليها، كم شكت، وبكت، وتألمت، وأيضًا كم كانوا سترًا على أغلاطها، وضعف نفسها؟ هذه الجدران الأربعة كانوا دومًا خير الأنيس، والجليس.

* * *

وجد في نفسه الألم الذي لم يعرفه لأعوام، فهو دومًا عاش متجاهلًا كل ما يضايقه، لم يهتم يومًا بما يحدث حوله، وماذا يفعل والده ووالدته؟ فقد نشأ على أنهما مجرد أسماء بحياته.

لِمَ اليوم يتألم لهذا الحد، وكيف يمكنه المكوث، وعدم الذهاب ليكون بجانب محمد؟

محمد الذي لطالما سانده وكان جواره، ويثق تمام الثقة بأنّه الآن يحتاج إليه.

ليركل جانب السرير بقدمه، حاقدًاعلى والده، ويقول:

- منك لله، أنا بكرهك، بكرهك.

* * *

الدموع تملأ وجهه، وهو يجلس بالزنزانة وحده، يتذكرها ويتألم، لا يؤلمه واقع أنّه اتّهم بقتلها قدر ألمه أنها ماتت.

حقًا، كريستي لم تعُد موجودة؟!

هذا التفكير يرهقه، كيف لها أن تموت؟ الآن يتمنى لو يعود الزمن للوراء قليلًا، ويتقرب منها مرة أخرى ويكون جوارها، ليته لم يصدها ويبعدها عنه.

وحين كان ينازع نفسه، شاهد جوليا تقف أمامه بعينين تملأهُما الدموع، وقف سريعًا، واقترب من الباب الحديدي الفاصل بينهما، وقال:

- جوليا، كيف عَلمتِ؟!
- حدثني والدك، والشرطة قامت أيضًا باستجوابنا جميعًا.
- ولكنَني لم أقتلها، جوليا، لم أفعل، صدقيني.
- أصدقك محمد، ولكن لِمَ أنتَ دون الجميع اشتبهوا بِك؟

تألم محمد، يخشى أن تعلم جوليا أن علاقة كانت تربط بينه، وبين كريستي، سيفضل الموت على جرحها هكذا، وقال:

- لا أعلم، ولكن يقولون إنهم وجدوا سكينًا بجانب جثتها حينما عثروا عليها بالطريق العام منذ ثلاثة أيام، والبصمات وجدت لي!
- السكين! أجل، فهمت..
- ماذا؟!

- لا شيء، الآن ماذا ستفعل، يجب أن تخرج محمد من هنا، لن أستطيع رؤيتك وراء تلك القضبان ثانية.
- لا أعرف ماذا سيحدث، اذهبي أنتِ الآن كريستي.

قالت باستياء:

- اسمي جوليا محمد، جوليا.

هزَّ محمد كتفه، وهو يتألم:

- عفوًا، أعتذر.
- لا عليك، الآن سأذهب، وسوف آتي مرة أخرى.
- حسنًا، إلى اللقاء.

* * *

تجلس كعادتها بالغرفة، تحاول إنهاء المشروع الخاص بها، وتتناسى ما حدث معها من هذا الفتى الوقح.

يرن هاتفها برقم لا تعلم صاحبه، وكعادتها تُجِب عليه أيًا كان، قالت:

- ألو.
- انتي فهمتيني غلط والله، ماكنتش اقصد اضايقك بجد، معلش.
- انت مين؟
- أنا احمد اللي ....
- أيوة، أيوة افتكرتك، وصلت بيك الوقاحة إنك تتصل بيا؟!

- حقيقي أنا اتصلت اعتذرلك، ماكنتش أقصد، بس أنا فعلًا حابب اتكلم معاكي، بس انا أسلوبي صعب شوية معلش.

قال إنه يريد الاعتذار، ولكنّه بالفعل لم يعتذر، فقط كان ينوي..

قالت، بضيق:

- طيب، قبلت اعتذارك، مع السلامة.
- استني بس، أنا حابب اتكلم معاكي، ممكن؟
- لأ، مش ممكن.
- عشان خاطري، اسمحيلى بس بدقيقتين.
- عاوز إيه؟
- أنا اسمي أحمد، في سنة ثانية هندسة، خلصت إعدادي، وأولى بتفوق الحمد لله، بحب احمد سعد جدًا، مابحبش الناس، بكرهم، وأي حد يقرب مني، ويعرفني ببعده عني بكل قسوة.

تظاهرت بعدم الاكتراث، قائلة:

- برضو، وأنا مالي؟
- حابب أتكلم يا حلا، وعلى فكرة انتي اسمك جميل جدًا، أقولك سر؟
- اتفضل.
- أنا عمري ما كلمت بنت في التليفون على فكرة، عمرها ما حصلت، هم بس يكلموني، مش العكس.

- المفروض ده شيء تتباهى بيه، إن البنات بتكلمك، وبتعرفني ده؟!
- لأ، انتي فهمتي غلط، أنا بس بعرّفك ازاي إنك مختلفة.
- شكرًا، أنا عاوزة احس إني عادية، وتسيبني في حالي، بس.
- طيب احكيلي عنك، بتحبي إيه بقى؟
- انت مصمم بقى.
- بصراحة آه، وهتعرف عليكي، يعني هتعرف.

* * *

بعد دقائق هدّأ من روعه قليلًا، ومازال الألم بنفس القوة من أجل شقيقه، لا يعلم ما يجب عليه فعله، شعر برغبة مُلِحّة أن يُحدّث أحدًا قَبل أن ينفجر من الألم، وجد نفسه يهاتف حلا.

قاطع تفكيرها صوت هاتفها، لتنظر بالهاتف.. " أحمد، ازاي؟"

حقًا، يهاتفها، كيف؛ فهي تعلم وقت يتضايق لا يتحدث مع أحد قَط ؟

ردت عليه بدهشة:

- أحمد!

صوت مُجهد، متألم، يتحدث بهدوء:

- عاوز اشوفك يا حلا.

قالت، وهي تشعر بالألم بصوته:

- انت عارف يا احمد مش هيوافقوا، النهاردة مفيش جامعة، مالك يا حبيبي فيك إيه؟
- تعبان يا حلا، نفسي في حضن انسى نفسي فيه.
- حبيبي، هتقلقني ليه عليك، مالك يا احمد حصل إيه؟
- بكرهم أوي يا حلا، بكره الراجل اللي المفروض والد واحترامه واجب، وبكره الست اللي المفروض إنها أم وكلها حنية، بكره الظروف، والقدر إني ابنهم، بكره إن أخويا محتاجني، وانا عاجز مش عارف اكون جنبه.
- اهدى بس يا حبيبي، حصل إيه جديد، وماله محمد؟
- محمد، متهم في جريمة قتل، ومش عارف أي تفاصيل، وهو بكل جبروت متضايق إني بسأل على اخويا، حتى دلوقتي بيحاول يلغينا.
- يا حبيبي.
- أنا تعبان قوي يا حلا، هموت من القهر.
- ماتوجعش قلبي عليك، محمد ربنا هيظهر براءته، وباباك ربنا يهديه، انت المفروض اتعودت، ومامتك أكيد محتاجة اللي يواسيها دلوقتي يا احمد مش يألمها أكتر.
- أنا بكرها هي وهو، بكرهم.
- أنا كمان بكره أمي، وانت عارف، وعارف إن ماحدش هيحس وجعك قدي، بس انا مش مستحملة اشوفك كده.
- خلاص يا حلا.
- هتقفل؟

- لأ، هخليني معاكي احس إن حد معايا، وجنبي عشان ماموتش من القهر.
- بعد الشر عليك يا احمد، انت عارف إنك كل دُنيتي.

* * *

يوسف، وهو بمنزل جوليا، وينظر إليها بجدية.

- كيف كانت علاقتكما؟
- جيدة جدًا.
- حقًا؟
- أجل، لِمَ الاستغراب؟
- مُجرد سؤال، أتمنى جوليا لو تعرفين شيئًا يساعدني على أن أعرف من الجاني؟ أكون مُمتَنًا لكِ، فمحمد لا يمكنه أن يُعاقب على ذنب لم يقترفه.

ولمعت عيناها بالدموع:

تألمت كثيرًا، حين رأته بالأمس، يجب أن يقبضوا على الجاني، محمد يجب أن يتم تبرئته.

- ساعديني إذن، هل كان بين كريستي، وأحد عداوة؟
- لا، مُطلقًا كريستي كانت فتاة صالحة مع الجميع.

ابتسم يوسف، ووقف مرة واحدة:

- حسنًا جوليا، أشكرك.

- ماذا؟
- سوف أذهب، أكتفي بهذا القدر، أشكرك لمساعدتي.
- أتمنى لو حدث جديد، أن تُعلمني عمي.
- سأفعل بالتأكيد، وداعًا.

صعد يوسف بجانب صديقه المحامي الآخر، وهو يقول:

- مسكت أول الخيط.
- إزاي؟!
- هحكيلك، اطلع بينا على الفندق اللي نزل فيه محمد، ده العنوان- وقام بإعطائه ورقة مدوَّن بها العنوان بالتحديد-

* * *

بدّل ثيابه، وأسرع لرؤية صديقه بشارع الهرم، أخذته قدماه إليه بعد أن كاد يجن من كثرة التفكير.

- انت اتجننت. كباريه إيه اللي عاوز تدخله؟!
- أي حاجة، هتجنن، انا لازم اعمل أي حاجة مجنونة النهاردة.
- اهدى يا احمد واعقل، وقولي فيك إيه؟
- هتيجي معايا، ولا لأ؟
- لأ، أنا مابروحش الأماكن دي، انت عارف إني بستحرمها.
- وانا مابستحرمش، أهلي علموني إن كل شيء اتعلمه لوحدي، وقررت تكون دي من ضمن قائمة التعلم.

نظر صديقه للحظة بتمعن إليه، وقال:

- شكل الموضوع كبير يا احمد بجد.
- أوي، ولو ماروحتش أي مكان دلوقتي، أنا فعلًا ممكن اتجنن، محتاج مغامرة بجد.
- طيب يَلا.
- على فين؟
- هنعيش المغامرة، بس مش كباريه، هنسافر اسكندرية.
- بس..
- مابسش، الصديق اللي بجد يضحي عشان صاحبه، مش يبعد، ويقول انا مالي هو حابب يغلط، وانا قررت اضحي؛ عشان انا صاحبك بجد.

ابتسم أحمد بنعومة:

- يوم عن يوم بتثبت إنك جدع، انت وحلا اللي طلعت بيكم من صداقات كتير كونتها.
- لإننا بنحبك بجد، يلا بس هعدي على البيت اعرفهم إني مسافر.
- لأ، كلمهم فون، لو روحت وقُلت ماتبقاش مغامرة.
- صح.

* * *

تحاول الاتصال به دون جدوى، تُعَذب لعدم وصولها إليه.

بعد محاولات عدة، وجدت هاتفها يرن، دون أن تنظر بشاشته رفعته على أذنها دون أن تدري بأنه ليس الهاتف الخاص بأحمد، وقامت بالرد بلهفة:

- ألو.

عقدت حاجبيها، وعلى وجهها الضيق، حين وجدت المتصل عمر، وقالت:

- أيوة يا عمر.. معلش كنت نايمة..عمر معلش..عاوز إيه يا عمر طيب..لأ مش قادرة.. اتكلم عاوزة أنام.. أيوة.. لما أصحى هتصل بيك، مع السلامة.

تنهدت، وأغلقت الهاتف بضيق.

وعادت تحاول الاتصال بأحمد مرة أخرى، وحين لم تجد إجابة، ألمها قلبها، تريد الاطمئنان عليه، ولا تعرف ما يجب عليها فعله.

* * *

هزّ أحمد كتفه متسائلًا لِمَ يحدق به حازم هكذا، وماذا يريد منه؟ لا يمكنه النظر للبحر بهدوء فقط دون أن تُحل الأسئلة، ويُشعره بالضيق.

- في إيه يا حازم؟

أومأ حازم رأسه نفياً:

- مافيش.
- طيب، ممكن ننبسط وبس، وبلاش تسألني عشان مش هجاوب.

- ليه، مش انا صاحبك، ليه ماتفتحش قلبك ليّا؟
- لإن قلبي مش بيبوح باللي جواه لحد، وهيفضل مايبوحش لحد ما اموت.
- ليه، إيه وجعك للدرجة دي بس؟!
- مافيش جوّايا ألم، الألم ماعرفوش، أنا أصلًا أسعد إنسان في الدنيا.

نظر إليه حازم بنفاد صبر، وقال:

- أخر كلام عندك؟
- خلينا نستمتع بالجو ده، وبلاش تسأل عشان مابعدش عنك، واسيبك وامشي، ويَلا نروح كافية.
- طيب يا احمد، بس وقت ما تحب تتكلم انا جنبك.

ابتسم أحمد مبتعدًا عن الشاطئ، واقترب من سيارته، أدار محركها، ومضيا يبحثان عن "كافيه" جيد يجلسان به، مدعيًا بأن ليس هناك شيء يستحق أن يشغل باله، فهو على خير ما يرام.

* * *

دخل يوسف الفندق، ومعه صديقه.

اقترب من عاملة الاستقبال، وسأل بتهذيب:

- بعد إذنك آنستي.
- تفضل.
- أريد أن استعلم عن شيء منذ أكثر من ثلاثة أشهر.

- عن مَن؟
- زوار محمد يوسف الشيخ، هل يمكنك أن تُفيديني.
- عفوًا، لا، لن أستطيع فجميع بيانات العملاء سرية.

قاطعها صديقه، وقال:

- أنا أعمل بالشرطة هنا، وأتمنى لو تساعدينا؛ فهذا أمر هام.

استطاعت أن تحافظ على نبرة هادئة في صوتها، وقالت:

- لن أستطيع، لو حقًا من الشرطة، أريد رؤية مذكرة التفتيش.

عندما شعر يوسف بالعجز واليأس من أن تقبل الفتاة طلبهما أسرع إلى الخارج، وطلب من صديقه الذهاب بهم إلى مخفر الشرطة.

* * *

تتمنى التحدث مع أحد، دموع منهمرة على وجنتيها، تخاف عليه، ولا تعرف كيف يمكنها الوصول إليه.

وجدت نفسها دون إدراك، تتناول هاتفها الآخر، وتتحدث:

- بالله عليكي ماتقفليش، أنا حلا، ومش عارفة اتصلت بيكي انتي بالذات ليه؟ أو عارفة بس مش عاوزة اعترف إنك كنتي صح، صعبان عليّا نفسي، واللي وصلت له، ممكن تسمعيني؟
- ....
- خلاص يا حنين ردك عرفته، أنا آسفة إني أزعجتك.

سمعت صوتها مترددًا، قائلة:

- أنا سمعاكي، يا حلا اتكلمي.
- سامحتيني؟
- اتكلمي وبس يا حلا، بلاش تتكلمي في اللي فات، افتحي قلبك، وطلعي اللي جواكي وبس.

دموع غزيرة على وجنتيها، وقلب يُصرِخ بكل ما يحمله طيلة تلك السنين، يتمنى أن يشعر بالارتياح:

- مش هتحكمي عليّا، وهتنسي اللي قولتهولك؟
- مش هحكم عليكي، وهنسى كل اللي هتقوليه.

تابعت حلا بدموع، وقالت:

- أنا تعبانة قوي يا حنين، تعبانة لدرجة ماتتخيليهاش.
- من إيه؟
- انتي بعدتي عني بسبب إني عرفت احمد، وإنك مابتحبيش كده، وازاي وأنا مخطوبة، بس احمد مش غلطة في حياتي، يمكن احمد الحاجة الوحيدة الصح بحياتي.
- مش فاهمة!
- يعني انا من البداية غلط، عملت كل شيء ممكن تتخيليه، بس نسيت اعمل أهم شيء، إني لمّا توهت رجعت، المفروض ماكنتش رجعت.
- مش فاهمة بجد، تقصدي إيه، قلقتيني؟

- أنا مش هلوم الظروف، مش هقول مالقتش أم، مالقتش قلب حنين، مالقتش حد يحس بيّا، مش هقول الشيطان خدني في إيده وتوهني معاه، مش هقول إني ماعرفتش ارجع تاني وضعت مني تمامًا، مش هقول إني بكره حياتي كل ما بفكر فيها، مش هقول إني متأكدة إن هيحصل شيء اتعاقب به على اللي عملته، وكمية الولاد اللي كلمتهم، مش هقول إني بكره نفسي وحياتي، بس بحبه قوي يا حنين، هو وبس اللي بحبه، مش عارفة ازاي توهت فيه، وإمتى وصلت لكده! بس هو الإنسان الوحيد اللي حسيت إني ماينفعش اعيش من غيره.
- بغض النظر عن احمد، تقصدي إيه بضعت مني تمامًا، عملتي إيه يا حلا؟

دموع لا تتوقف، بل تزداد أكثر:

- كلمت اولاد كتير يا حنين، اتكلمت في حاجات اتكسف حتى أواجه نفسي إني عيشتها واشتهيتها، أنا خُنت، خُنت نفسي قبل أي حد..

حنين بصدمة:

- انتي بتقولي إيه يا حلا، بتقولي إيه؟!
- بقول اللي مش قادرة أواجه بيه نفسي، بقول الكلام اللي كان مستحيل يطلع أبدًا مني، وأول ما طلع ماكنش ينفع يطلع غير ليكي؛ لإني واثقة قد إيه انتي قريبة لربنا، اشفعيلي عنده يا حنين، قوليله يسامحني، قوليله مايعاقبنيش إنه يبعدني عن

احمد، قوليله يسامحني إني أذنبت، قوليله أنا راضية بأي عقاب بس بلاش يبعدني عن احمد أنا من غيره اموت.

- ربنا مش محتاج لحد يكون واسطة يا حلا، ربنا مستني توبة صادقة من قلبك، روحي اتوضي وصلّي، واترجيه يسامحك، ربنا مش بيعاقب العبد بحجم ذنوبه، وإلا كان كل البشر في نار جهنم، ربنا حنين، وبيسامح، وهيسامحك.
- تفتكري يا حنين، ممكن يسامحني ومايعاقبنيش، ويبعد عني احمد؟
- قبل أى حد لاقي نفسك يا حلا، قرّبي لربنا، وماتنسيش حد انتي ظلماه، حقه مايفضلش مخدوع كده.
- عمر؟
- أيوة مش ذنبه، إنك تايهة، ومش بتحبيه.
- طيب، وانتي يا حنين؟
- أنا مسمحاكي يا حلا، هفضل جنبك، وهاخد بإيدك لحد ما توصلي لبرالأمان.
- حنين، نزلت من نظرك؟
- بالعكس، أنا زعلانة من نفسي إني كنت صديقة مش جدعة، بعدت وقُلت أنا مالي، ماكلفتش نفسي اعرف ليه، ليه حلا توصل لمرحلة تخون خطيبها؟
- أنا آسفة.
- أنا اللي آسفة، أنا جنبك، وماتخافيش مش هحكم عليكي أبدًا على الأقل كنتي قوية واعترفتي بغلطك.

- شكرًا يا حنين.
- على إيه؟!
- إنك رغم اللي حصل ريحتيني، كنتي جنبي، وقت احتجت قلب، كنتي قلب ماوجدتوش حتى في أمي.

* * *

كانت حالتها النفسية آخذة في التحسن، بعدما غابت بين يدي الله ترجوه أن يُهدِئ من روعها، تبحث بالمنزل عن أحمد دون جدوى، فقد ذهب، ولكن أين سيكون بهذا الوقت المتأخر، قلق طال قلبها لا تعلم ما السر به، فقط يُنبئها حدسها بأن هناك شيئًا قويًا حدث، شيء تخشى منه، ولا تعلم ما هو، فقط انقباض قوي بقلبها.

أسرعت وتناولت هاتفها، قامت بالاتصال به، بعد محاولة واثنتين، قام بالرد مضطرًا خوفًا من أن يكون بشقيقه شيء، أو عَلِمت عنه جديدًا، كشّر، وقال:

- نعم.

رقَّ صوت سميرة، وقالت:

- انت فين؟
- في اسكندرية، بتفسح.

انفعلت، موبخة:

- ده حقيقي؟!

- أيوة طبعًا.

تابعت بصوتها عالي النبرة:

- انت ازاي بعدم الإحساس ده، ازاي اخوك ممكن يضيع -وبدموع صدحت من عينها- ده ممكن يتشنق، أخوك ممكن مايبقاش معانا تاني، وانت بتتفسح، انت ازاي بالسوء ده؟ أكيد انت اللي جواك ده مش قلب يحس، ويخاف، ويتألم لغيره، انت إنسان أناني ومعدوم الشعور.

نظر أحمد باتجاه صديقه لبرهة،عيناه تبتسمان، وكأنّ شيئًا لم يحدث، وقال بنبرة ناعمة:

- ده اجتهاد شخصي منكم، ربيتوا...

جلست سميرة على كرسي جوارها، وكأنها تحاول أن تستوعب ما وصل إليه ابنها، متى أصبح بهذا القلب المتبلد، تحاول استيعاب نبرته الباردة، وقسوة كلماته، وقالت بضعفٍ:

- ليه وصلت لكده، ليه القسوة اللي ماليه قلبك دي، ليه الغباء اتملك منك للدرجة دي يا احمد، عملت فيك إيه؟ طول عمري عايشة بس عشان اعملكم مستقبل، وارسم لكم حياة سعيدة، وناجحة، ومتوفر فيها كل اللي بتتمنوه.
- ونجحتي الحقيقة، مع السلامة.

أغلق الهاتف، وأكمل تناول الأكل أمامه، مع تتابُع نظرات حازم الذي تملّكه الفضول؛ ليسأل ماذا حدث؟ ولكن خوفًا من بطش أحمد به صمت فقط.

كانت حرارة جسدها عالية، دموع غزيرة لا تعلم كيف لا تنتهي طيلة هذه السنين، قلب ينزف بشدة، هل ما هي به، وتُعاني منه، حقيقي؟

انهارت، وهي تسترجع نبرته وجمود كلماته، فماذا قدمت لتجني منه تلك المعاملة، بماذا فقط أخطأت، بمااااااااذا؟

* * *

سحبت زهرة يدها من يد زوجها، وهو يحاول تهدئتها، وحَسها على أن تقبل بالذهاب لشقيقتها، لتقول بانفعال، وهي تجلس على حافة السرير:

- لأ، مش هروحلها، مش هروح، انتهت.
- هتندمي طول عمرك، هتفضلي تقولي ياريتني كنت عرفت فيها إيه، هتتمني الموت عشان تقابليها هناك، وتعرفي كان مالها، بس وقتها حتى الموت مش هيشفعلك؛ لإنك هتكوني بس بتندمي إنك ظلمتي، وأذنبتي، ومحتاجة تكفري عن غلطك انتي، مش إيه اللي واجع غيرك..
- أنا! لأ طبعًا عمري ما هندم، وكفاية بقى كلام في الموضوع ده.
- براحتك، قُدامك لآخرالأسبوع تفكري، وانا مستعد اوديكي.

أشارت له، وهي تُغلِق عينيها:

- أنا هنام.

* * *

وقف قُرب النافذة ينظر إلى هدوء الشارع.

الصخب يزداد داخله يومًا عن يوم، يشعر بالتمزق كُلما أيقن عدم حبها له.

كيف يمكنه العيش دونها، فحقًا أحبَّها، ويتمنى البقاء جانبها، هي من جعلته يقع بشِرَاكِها.

تذكر يوم ذهب إليهم بعد معاناة من والديه، كي يراها.

لم ينجذب إليها منذ الوهلة الأولى.

فقد تمنى الذهاب سريعًا عنها، ولكن رُغمًا عنه، وتحت إصرار من والده ووالدته تمت الخِطبة، ووجد بها الطيبة والحب.

تذكر أول محادثة بينهما، وكلامها عن إنها سعيدة جدًا بارتباطهما، وكيف فاجأته بحبها له.

- انت عارف إني بحبك أوي؟
- بجد حبتيني إمتى؟ ده احنا بقالنا اسبوعين بس مخطوبين!
- ماعرفش يا عمر بس بجد حبيتك، وحساك أماني، ونفسي نتجوز أوي، واعيشلك ومعاك بس.
- يعني انتي حبيتيني بجد، ونفسك نتجوز؟
- بجد أوي، حساك هتبقى كل حاجة ليّا في الدنيا، واثقة إنك هتغنيني عن كل الناس.
- تعرفي إن كلامك ده بيحملني مسئولية كبيرة أوي؟
- مسئولية إيه؟
- لأ، ماتشغليش بالك، بس انا خايف؛ لإنك لسه صغيرة، بتقولي كده عشان انا خطيبك، وأول حد في حياتك.

- لأ، انا مش صغيرة، أنا كبيرة، ونفسي حقيقي نتجوز النهاردة قبل بكرة، نفسي اسيب البيت ده واعيش معاك، معاك انت وبس.
- هتعيشي معايا، وهسعى أوي إننا نتجوز، وبسرعة.
- بحبك.

تذكر كيف تردد وقتها بقوله لها إنه يحبها بدوره، لأنه لم يكن بعد أحبها، فقط شعور إنها تحبه وأنه يخاف الله جعله يدرك كل كلمة قبل التفوه بها.

ألم مرة أخرى بصدره، فقلبه يرفض الاعتراف بأنها لم تعد تحبه، لم يعد يلمس هذا الحب القوي بحروفها، ولا نظراتها المتشوقة المتلهفة إليه.

حلا مابتحبنيش، لو كانت حبتني ماكنش قلبها قسي، ماكنتش تنام من غير ما تكلمني وتطمن عليا.

لو كانت حبتني، كانت الشرارة اللي في عينيها ماخملتش.

لو كانت حبيتني كان زمانها عايشة ليّا، وعايشلها.

لو كانت.. لو كانت..ولمعت عيناه بالدموع رُغمًا عنه.

لازم اتكلم معاها بصراحة، الموضوع لازم يكون ليه حل، واعرف احنا رايحين على فين؟

* * *

لم تستطيع تلك المغامرة جعله يتناسى ما يشعر به، خصوصًا بعد محادثة والدته له.

حقًا فقلبه يؤلمه، وبشدة خوفه على محمد يزداد، سخطه على يوسف يمزق أعماقه، كرهه لوالدته يزيد من بؤسِه.

- مالك يا احمد، عينك بتدمع ليه؟!
- شبك أحمد يديه، وقال:
- يَلا نرجع القاهرة حالًا.
- ليه، احنا مش قولنا يومين، من غير ما نفكر في أي حاجة؟
- مش قادر، مش هقدر يا حازم، اللي بحاول اهرب منه بيطاردني، لازم ارجع، واكون هناك، لازم ابقى عارف إيه بيحصل، لازم اكون موجود.

سأله حازم، ورفع حاجبه بتهكم:

- شُفت إن في شيء تاعبك أوي؟
- يلا يا حازم، أمانة عليك، وبلاش أسئلة.
- طيب، حاضر.

* * *

أثناء سيرهما على الطريق شاهد أحمد أحدهم على الطريق، لا يستطيع الحركة، ترجَّل من سيارته سريعًا يبدو أن أحدًا قام بدهسه، وهرب.

- مين الحيوان اللي عمل فيه كده؟!

يستاءل حازم، وهو يسند الرجل بالخلف، ويحاول إفاقته.

- المهم، هو عايش يا حازم؟
- أه أه، امشي بسرعة بس.
- حاضر، يارب مستشفى بسرعة يارب.
- إن شاء الله، بسرعة بس.

ضغط أحمد على الوقود بقوة:

- حاضر.

* * *

ترك يوسف صديقه بمخفر الشرطة، بعد أن أطلعه على ما يفكر به، وذهب للجامعة.

سأل عن أقرب أصدقاء لكريستي، وجوليا في آنٍ واحد.

وعَلِمِ أنهما براندت ومايكل، بحث عنهما حتى وجدهما بأحد الأركان بالجامعة.

اقترب وألقى التحية عليهما، وقال:

- أريد سؤالكما، عن بعض الأشياء، هل تسمحان لي؟

أومأ براندت برأسه بالموافقة:

- بالطبع، تفضل.

اعتدل يوسف في وقفته، وسألهما:

- ما علاقة جوليا بكريستي؟ وأتمنى الإجابة بصدق، فمحمد سوف تضيع حياته، بدون وجه حق.

نظر الاثنان- وصمت دام لثوانٍ - وأردف براندت:

- لم تكن علاقتهما يومًا جيدة، وساءت أكثر منذ حصول جوليا على حبيب كريستي السابق جون.

ابتسم يوسف، وتابع:

- وأين جون؟
- لا نعلم، فقد اختفى منذ أشهر، ولم يتم العثورعليه، أو معرفة أين ذهب.
- حسنًا، وعلاقة محمد بكريستي كيف كانت؟
- لم تكن جيدة أيضًا، ويبدو أن جوليا هي من طلبت من محمد عدم التحدث مع كريستي، لأنها تذمرت دومًا من معاملته لها، ويبدو أنها كانت تنجذب له.

قاطعهما مايكل، وقال:

- هاهاها، وكأن الاثنتين كانتا تتوعدان لبعضهما مَن منهما ستسرق حبيب الأخرى؟ فلقد شعرت لوهلة بأنها حرب بينهما.

ابتسم يوسف، وقال- وهو يودعهما بسعادة-:

- أشكركما، أشكركما وبشدة، الوداع.

* * *

يا له من حلم، حلم فارغ أحمق، ما كان ينبغي عليه أن يساعد مريضًا إذًا، هل حقًا هو وصديقه سيواجهان تهمة قتل هذا الرجل الذي لفظ آخر أنفاسه منذ قليل؟

غمغم حازم في تفكير:

- أكيد اللي بيحصل ده كابوس، أكيد مش حقيقي، مستحيل يكون اللي بيحصل ده حقيقي.

انفعل الضابط، وقال:

- انت هتمثل يا روح امك، انطق يلا انت وهو، خبطّوه ليه؟
- يعني ده جزاء إننا ساعدنا واحد بيموت على الطريق، تتهمونا بقتله؟!

يحاول استيعاب ما يحدث، وما يسمع، هل هذا حقيقي؟!

وجد أحمد الضابط يضع يده على كتفه، ويقول:

- ها انت شكلك هادئ، وهتقول الحقيقة، خبطّوه ليه؟

تحدث أحمد دون إدراك لما يقول فقط تحدث دون إنذار:

- أيوة أنا خبطّه.

هرع حازم، وصاح به:

- انت بتقول إيه يا احمد؟ ماحصلش والله، حضرتك بيكذب.

ابتسم الضابط لاعتراف أحمد، وإن كان غير صادق اختصر عليه مشقة وإجراءات كثيرة.

صمت أحمد للحظات، وبعينه نظرة هادئة، وقال:

- بس حازم مايعرفش حاجة، ومالوش دعوة، لو سمحت خليه يمشي.

انفعل حازم أكثر، وهو يقول:

- انت مجنون، انت بتعمل ليه كده، ليه بتلبس نفسك مصيبة زي دي، ليييييييه؟!

صمت تام من أحمد، وعين تحجرت، ووجه يغلفه الجمود.

* * *

يقوم بإيصالها في التاسعة صباحًا.

صمت تام بين الاثنين، حديث طويل بعين كلٍّ منهما ولهفة، لتذهب وترى أحمد وما حدث معه، ولماذا اختفى هكذا؟

ضغط على مكابح السيارة، وقال:

- لازم نتكلم حالًا.
- ياريت يا عمر، محتاجة اتكلم فعلًا.
- نروح مكان؟
- اللي يريحك.

أدار محرك السيارة مرة أخرى، واتجه لأقرب مطعم وجداه بهذه الساعة، وبعد الكثير من الأماكن المغلقة، وجدا واحدًا يبدأ بتجهيز المكان، ولم يعمل بعد، استأذن عمر أن يجلس هو وحلا قليلًا، وطلبا كوبين من القهوة.

جلست حلا، ووضعت كفًا على كف حتى تحد من ارتجافهما، وقالت:

- اتفضل اتكلم يا عمر.
- انتي مش كنتي عاوزة تتكلمي؟ هسمعك يا حلا.
- بس..
- اتكلمي، سامعك.

حين لمست منه الإصرار علمت أنه لا مفر، يجب عليها التحدث قالت بصوت ناعم:

- أنا آسفة يا عمر، آسفة إني ماكنتش الإنسانة اللي تصونك، آسفة إني ماعرفتش احبك.

ابتسم عمر، ابتسامة باهتة، قائلًا:

- حد تاني ظهر في حياتك، وحبتيه مش كده؟

ارتبكت، وتابعت:

- حد، حد مين؟ لأ.
- في حد، انتي ماكنتيش شايفة غيري يا حلا، بُصي حقيقي انا مش هنفعل بس انا محتاج اعرف، محتاج افهم، انا محتاج افهم بجد.
- ....

شَبَك يديه ببعضهما، محاولًا الحد من غضبه:

- ياريت تتكلمي، أنا مش هقدر اتماسك كتير، حقيقي بحاول اتعامل بعقل، وإنك قبل كل شيء إنسانة بحبها، وبقدّرها وهي اللي وصلتني للدرجة دي من الاحترام، والحب لتعلقها بيّا، فياريت بهدوء، واتكلمي.

كلماته - بحبها، وبقدرها، والاحترام - جعلت عينيها تلمع بالدموع:

- أنا مش عارفة أقولك إيه؟ بس أكيد انت ربنا بيحبك أوي يا عمر، عشان انا هبعد عنك، ومش هكون في حياتك.
- مش فاهم.

- مش هقدر اتكلم كتير، بس صدقني أنا مش بالبراءة اللي انت متخيلها، انا حاجات كتير غلط، انا لو كنت بس حسيت منك تشجيع على كلمة وحشة كنت هغلط. انا ضايعة مني بحاول الاقيني، وأول بحثي إن أبدأ صح.
- وأول الصح تبعدي عني؟!
- أيوة أول الصح، إني اصلّح الغلط.
- أنا غلط في حياتك؟
- لأ، انت الصح، وانا الغلط، والغلط يتصلح لما اخلي الصح يفضل صح زي ما هو بدون ما الوثه.

رفع عمر حاجبيه بنفاذ صبر، وقاطعها:

- انتي عاوزة تقولي إيه؟ تعبت من الكلام المتغطي ده.
- عاوزة اقول إني محتاجاك تساعدني نسيب بعض.
- أساعدك نسيب بعض؟! هاهاها.. إيه البساطة دي، طيب ما اجي كمان اخطبلك، ونبقى اصحاب، وكإننا ماكناش يوم بنحب بعض، ولا بينا أي علاقة؟
- ياريت يا عمر، عارفة الموضوع صعب، بس انا طول عمري لوحدي عُمْر ما حد حس بيّا، إيه مشاعري،إيه بيألمني؟ غلطت كتير بس محتاجة حد يساعدني، وياخد بإيدي محتاجة قلب صافي، ونقي جنبي يحبني، ويخاف عليا.
- أنا آسف، مش هقدر اكون الحد ده، ابقى بكدب لو قدرت.

قالت، وهي ترتجف:

- تقصد إيه؟
- أقصد إننا ماينفعش، ماينفعش بعد ما كنت بحبك أبقى مجرد صديق تحكيلي واسمع، ماعرفش أنافق، أكون عاوزك، وكنت يوم بتمناكي، وفجأة أبقى مجرد حد فى حياتك بساعدك عشان تعيشي حياتك من غيري وادعي إني سعيد؛ لإني شايفك مرتاحة، أنا هتمنى ألمك في بُعدي، هتمنى وجعك وانتي بعيدعني، هتمنى تعيشي يوم عن يوم تندمي على الجرح اللي سبتيه في قلبي.

تنهدت حلا بألم، ونظرت للأسفل، وقالت بصوت يرتعش:

- هتتخلى عني يا عمر؟

نهض عمر، وهو يضع بعض من المال على الطاولة، وطلب منها الذهاب معه:

- يلا اوصلك لجامعتك زي ما أهلك عارفين، لإن دي أمانة، وبالليل هاجي البيت، وهطلب إن اللي بينا ينتهي.

دموع تنهمر على وجنتيها بخوف:

- لأ لأ، ماما هتموتني.

تكلم بثبات وحاول كبت غضبه، قائلًا:

- اطمني، أنا اللي مش عاوزك، وده مش عشان انقذك أو اتعاطف معاكي، لأ، أنا فعلًا مش عاوزك، وسعيد إني اسمى مش هيكون مقترن باسم حد مثّل عليّا الحب، ماتقلقيش أنا اللي بايع مش انتي.

شعرت بالألم الشديد بصوته مزق أوصالها، ليتها لم تفعل وتؤلمه هكذا، فعمر يومًا عن يوم يثبت بأنه عظيم الشأن رغم صغر سنه، إنسان نادر الوجود، حقًا محظوظة من ستكون له، وهي كل ما يحدث معها بداية من العقاب الذي تنتظره، وتطالب به لنفسها، فهذه مجرد بداية، هذا ما قالته لنفسها.

* * *

بعد ليل طويل، مرّ عليه داخل الحبس هو وحازم.

حاول حازم أن يفهم لِمَ فعل أحمد هذا، وقال ذلك؟ ولكن لم يجد منه سوى الصمت على الدوام.

ضوء النهار ينبعث من نافذة صغيرة، بدأ أحمد يرى الملامح حوله، وجوه غريبة مخيفة بعض الشيء، أعين متوحشة، نظرات تفترسه، وقتها فقط أدرك ما أقدم عليه، فهل حقده على والدته ووالده، وخوفه على شقيقه جعلوه يؤدي بنفسه لهذا المكان؟ بماذا كان يفكر؟

فهذا المكان أفضل من والدته ووالده؟

هل خوفه على شقيقه جعله لا يقبل الحياة من دونه، فقرر أن يذهب بإرادته لجريمة القتل؟ هل هذا العقاب الذي سينتقم به من والديه؟

صورتها بأرجاء الغرفة، تبتسم إليه، تطلب منه الذهاب بين أحضانها، رداء أبيض يكسوها، وعين أصبحت حزينة ترجوه ألّا يفعل بها هذا، فهو وعدها أنه لن يتركها لآخر نفس به.

الألم يزداد.. الروح تصرخ.. العقل يُعلِن رفضه عليه وعلى تضييع مستقبله وحياته.. القلب دقاته تشتد وتؤلمه بقسوة رافضة الموت الآن وهذا الظلم بحقه، وبحق محبوبته.

* * *

ذهب سيف وراءها وقام بإيقافها سريعًا.

- ممكن كلمة، لو سمحتي؟

أسرعت بالذهاب سريعًا عنه، كأنها لم تسمع ما قال، فهي تخشاه، تلاحظ ملاحقته لها منذ فترة، جعلها ترهبه وكُلما رأته ارتعبت بشدة.

قام بملاحقتها بدوره، وهتف بنبرة عالية:

- أنا عاوز اعرف بس ينفع اتقدم لك؟
- لأ،ماينفعش، وابعد عني أفضلك.

اتكأ سيف جانبًا عن طريقها بقدر ما يستطيع، وهز رأسه معتذرًا، وقال:

- آسف إني ضايقتك، بس حقيقي أنا معجب بيكي، ومتأكد من أخلاقك، أتمنى أتقدملك، وياريت تقبلي.

* * *

بعد توَجُه يوسف للشرطة، والأدلة الدامغة معه، ألقت الشرطة القبض على جوليا.

لِمَا وجدوا من تناقض بين أقوالها، وأدلة ملموسة عن اشتباهها بقتل كريستي، ولها علاقة وثيقة باختفاء جون.

وبعد تشديد الاستجواب عليها، قالت:

- أجل، فعلت، قتلت كريستي وأندم كل الندم أنني لم أقتلها مع جون.
- جون، قتلت جون أيضًا؟!
- لا، لا.
- قلتِ أنكِ فعلتِ حالًا، هيّا قولي الصدق، لم يَعُد لديكِ مفر.

هزت جوليا رأسها، قائلة:

- فعلت.
- أين الجثة؟
- مدفونة بالغابات، قريبًا من مكان كريستي.

الضابط بثبات:

- لِمَ فعلتِ ذلك؟!
- لأنهم خاناني، الاثنان فعلا.
- ولِمَ تركتِ ذلك العربي يتحمل التهمة عنكِ، إن كنتِ تحبينه كما علمنا؟
- هو أيضًا خائن، أنا أعلم عن علاقتهما ببعضهما، خائن، جميعهم خائنون، جميعهم.

- كيف حصلتِ على السكين ببصماته؟
- تلك كانت صدفة حقًا، فيوم كنت بمنزله، وذهب هو مع براندت لشراء بعض احتياجات المنزل، وسمعت صوت رنين الباب، وجدتها هي أمامي، ولم تشعر بالخزي عند رؤيتي بل حدقت بي، ويعلو وجهها ابتسامة.
- أكملي.
- دخلت بكل وقاحة وسألت، أين محمد؟ وحين قلت لها لِمَ تبحثين عنه؟ جاوبتني بفظاظة قائلة: إنهما على موعد، ولكني تمالكت نفسي، وابتسمت بدوري، وطلبت منها المُكوث، وأعدت لنا كوبين من القهوة، وبعد أن شربتها كانت بدأت ترتخي، وأطاعتني إلى أن ذهبنا بالسيارة سويًا.
- لماذا، ماذا وضعتي لها بالقهوة ؟!
- حبوبي المخدرة، ولكنها لم تكن كافية لتجعلها تنام بالكامل فقط خدرتها، كي تفعل ما أطلب منها واصطحبها معي بهدوء .
- وكيف حصلتِ على السكين؟!
- وجدته بجانب الهاتف وأنا أصطحبها للخارج، لم أفكر، فقط تناولته بيدي، وأنا لم أنوِ بعد ماذا سأفعل بها؟ وأخذتها للغابة وقُمت بطعنها مرتين .
- ولماذا لم تخفي السكين، ولِمَ لم توجد لديك بصمات عليه؟
- لم أتذكره، فكنت خائفة من روحها هي وجون، أن يتكاتفا عليّ، ويهاجماني حتى إنني لم أقُم بدفنها فقط، تركتها ورحلت حين سمعت بعض الضجة هناك، وأعتقد عدم بصمتي لارتدائي قفازين.

عاد الضابط، يسألها بهدوء:

- سؤال فضولي، بعض الشيء؟
- ....
- لِمَ أحببتِ عربيًّا متخلفًا، وتفضلينه على أبناء شعبك المتحضر، هل كنتِ تُخططين للزواج به؟
- أجل، كنت أطمح بذلك، وهو كان لي طوق الحب بعد خيانة جون لي، كان يتحدث معي مطولًا عبر الفيس بوك، وكان قريبًا لي، استطاع بوقتٍ قصيرٍ أن يستحوذ على اهتمامي لتعلقه بي.
- كم دامت علاقتكما؟
- أكثر من سنة.

نظر إليها مُطولًا لبرودة أعصابها، قائلًا بسخرية:

- كيف استطعتِ أن تقتلي أحدًا بهذا البرود؟

ابتسمت جوليا، وقالت بهدوء:

- مثلما استطاعا سلبي ما أحببت، فدومًا أرادا إنهائي، والآن مَن الرابح، أين هما؟

ابتسم الضابط مثلها، وقال:

- وأين أنتِ؟
- أنا القوية.
- بل، الضائعة.
- لا يهُم، ولكن قوية.

* * *

لم يستمع الضابط لتوسلات حازم، واعتراف أحمد بأنه ليس الجاني، وأنه قال هكذا لحظة حقد على حياته فقط.

وبعد أن فقدا كل محاولاتهما لإقناعه، طلب أحمد الاتصال بالهاتف فهذا حقه.

تحدث أحمد، بصوت هادئ قائلًا:

- أنا في قسم على طريق(...) ممكن تشوفيلي محامي وتيجي.
- سميرة بذعر:
- إيه اللي حصل؟
- لما تيجي هتعرفي، مع السلامة.

* * *

تبحث عنه بداخل الجامعة لا تستطيع إيجاده، فتسارُع الخوف يُضني قلبها، وأسرعت حين وجدت حنين تقف.

- فين احمد يا حنين، فين احمد؟
- فين ازاي، ومالك خايفة ليه كده إيه حصل؟
- قلبي حاسس إنه حصله حاجة، أحمد فيه حاجة، أنا خايفة أوي.
- اهدي بس، هيكون ماله؟ بس احنا لسه بدرى زمانه جاي.
- لأ، مش هيجى، أنا متأكدة إنه مش هيجى.
- طيب اهدي بس، اهدي.

نظرت حلا بعيدًا، وقالت:

- هسأل اصحابه.
- بس حازم صديقه مش هنا.
- وانتي عرفتي منين؟
- مش موجود، ماشوفتوش.
- وبعدين، اعمل إيه، مش كفاية عمر، هيبقى خوفي على احمد، العقاب بدايته قوية قوي يارب.
- برضو عقاب، وبعدين ماله عمر، عملتي إيه؟
- قولتله، خلاص كل شيء انتهى، والدبلة دي مابقاش ليها لازمة.
- وبدت منزعجة، وهي تقول :
- بس للأسف مش هعرف اشيلها من إيدى غير لما هو يقول؛ عشان ماما ماتشوفهاش مش في إيدي، تفهم إننا متفقين.
- ربنا معاكي بجد يا حلا.
- واطمني على احمد، اطمني عليه.

* * *

تحاول الاتصال به منذ أن قام بغلق الاتصال معها، دون جدوى فلا تستطيع الوصول إليه، دموع لا تتوقف.

بعد أن يَئِست من أن تصل إليه، دخلت مكتبه، وبحثت علّها تجد كارت محامي تتصل به، فلا تعرف أحد يمكنها الوثوق به، وأخذه معها.

وحين عبثها سمعت صوت الهاتف المنزلي يرن، أسرعت بلهفة، وقالت:

- ألو.

- صوت يوسف يتحدث بهدوء:
- خلاص، محمد طلع وراجعين.

دموع تكتمل على وجنتيها بغزارة هل تفرح أم تقلق بسبب الآخر، ما المشاعر المفترض أن تحتل قلبها؟ وقالت:

- الحمد لله يارب.
- مالك؟
- كويسة.
- لأ، صوتك بيقول في حاجة، مش فرحة إن ابنك الحمد لله ربنا نجاه.
- أحمد في القسم، ومش عارفة اعمل إيه؟
- ليييييييه، ماله ده كمان؟؟!
- ماعرفش، اتصل بيّا في القسم، وعاوزني اروحله، ومعايا محامي.
- محامي، يبقى موضوع كبير.
- بصي أنا نازل، ماتروحيش، وماتعمليش حاجة، هحجز بسرعة وجاي.
- مش هتلاقي حجز.
- لأ، هلاقي، سلام.

أغلق الهاتف بوجهها، دون أن تجيبه.

* * *

دخلت أمل إليه بعد طَرقٍ كثير على باب المكتب، ولم تجد منه الرد، فقلقت عليه، خاصةً وأنّه يبدو عليه اليوم الإرهاق، دخلت وهي تنظر حولها بهدوء.

قالت، وهي تجلس أمامه:

- أستاذ عمر، مالك؟

حدق عمر بوجهها للحظة، ثُم نَهضَ عن كرسيه، واقترب منها، جلس أمامها، وقال:

- انتي عارفة إن باباكي طيب أوي انتم كلكم ناس طيبين، انتي عارفة إنها ضحكت عليّا وقالتلي مش عوزاك، كسرتني، وأنا كنت فاكرها بتحبني، بس شكل الحُب أصبح ذنب.. لازم نندم إننا عشناه، بس والله أنا ماكُنتش عاوز اعيشه، هي اللي خدت بإيدي، ودوقتني حلاوته، وبعدين فجأة - ورفع حاجبيه - هوب سابت إيدي من دور عالي جدًا، أقع بس مانزفش، أتجرح، والدم يتكتم في الجرح، يعلم بس مايريحش، يفضل كدمة تِئلم وبس.
- أستاذ عمر، حضرتك فيك إيه؟

اهتزّ رأس عمر:

- مش عارف.
- طب اتكلم.

- الكلام بيوجعني، بيخلي روحي ترفض إنها اتظلمت كده، أصلها كانت مرتاحة، كانت راضية، هي حذرتني كتير إني ماضعفش، واحب بس اللي حصل إن أنا حبيت، والحب كان ليّا عقاب.

ترددت أمل، ثم قالت:

- تقصد خطيبتك، مش كده؟

هزّ رأسه، ومسح الدموع التي أخذت تنهمر، كان البكاء ردَّ فعلٍ جبانًا وضعيفًا، فحدث هذا بإرادته، هو من طلب الابتعاد ببساطة، ولم يجبره أحد على تقمص دور البطولة، والتضحية والأخلاق، وباندفاع مفاجئ، وقف واتجه إلى الباب:

- أنا ماشي.
- أستاذ عمر.
- استدار في هدوء، وقال:
- نعم؟
- هي الخسرانة، ماتزعلش.

نظر إليها نظرة تقليدية هادئة، قائلًا:

- مش هزعل، هضغط على قلبي، وأقوله انسى إنك اتجرحت.

* * *

لاحظ يديها المرتعشتين بعد ذهاب عمر، وهي تجلس لا تستطيع استيعاب ما قاله، هل حقًا اكتشف أنه، وابنتهما لا يصلحان لبعضهما؟

سار نحو الشُرفة مبتعدًا عنها، واشعل سيجارًا، ثم أردف:

- شُفتي إنك كنتي مستعجلة يا زهرة، حتى هو قال إنه حاسس إنها صغيرة، ليه تحطينا في حاجة زي دي؟

قالت، والألم يعتصر قلبها:

- دلوقتي حَس إن مافيش تكافؤ بينهم، مخطوبين بقالهم سنة، ودلوقتي اكتشف إنها مش نافعة له؟ وخلاص جوازهم آخر الشهر.
- انتي مش عاوزة تعترفي ليه إنك كنتي غلط، يمكن ربنا بيحب البنت دي إنها تاخد وقتها، وسنها.
- والناس تقول إيه، بعد ما يعرفوا إنه سابها؟
- ماتولع الناس، من إمتى الناس بتريح نفسها، من إمتى الناس أصلًا بيعجبها حاجة؟

أعياها التفكير فيما يحدث، ولم تجسر على التفكير فيما قاله عمر، ولماذا الآن تركها، فحبه لحلا كان واضحًا جدًا، حتى كلماته، وهو يعتذر كان يملؤها الألم .

قاطع تفكيرها كلام زوجها قائلًا:

- اعتقد دلوقتي، بنتك محتاجة منك معاملة كأم، وتطيب خاطرها.

- أطيّب خاطرها؟ دي البنت دي عقاب ليّا، أنا مش عارفة أخلص منها ازاي؟ قلت خلاص اتخطبت، وهتتجوز، وهرتاح، بس واضح مافيش راحة.
- انتي قاسية أوي على البنت دي، حرام عليكي.

فغرت زهرة فاها مستنكرة سؤاله، وعبست ثانية؛ فهو مُحق هي لم تحب يومًا كونها أنجبت فتاة، فيوم علمت بأنها تحمل أنثى بين أحشائها، تمنت لو لم تلدها، وتموت داخلها فقط.

* * *

تمكنت حلا أخيرًا من إقناع نفسها نسيان عمر، وقررت ألا تعيش عذاب خذلانها له لأنها لن تسطيع فعل شيء، لتغيير مجرى الأحداث، هذا أفضل لهم جميعًا.

تذكرت أحمد، وشعرت بانقباض أنفاسها مرة أخرى.

فأين هو، لِمَ هذا الاختفاء المخيف؟

حاولت الاتصال من جديد به، ولكنها لم تستطع، غرقت في السرير، وأحنت رأسها بحزنٍ وانسدل شعرها المموج كستارٍ كثيف على وجهها، ثم وضعت رأسها بين يديها وتنهدت بعمق، وتساءلت ما الذي من الممكن أن يحدث معه، أين هو ولِمَ هذا الغياب؟ ولماذا لا يجيب على اتصالاتها؟ وأخيرًا أغلق هاتفه.

ماذا يحدث معه؟ خاطبت نفسها بيأس:

- انت فين يا احمد هموت عليك، هموت واطمن إنك بخير.
يارب، طمني عليه يارب، احفظه واحميه يارب بلاش عقابي يكون فيه، بلاش أحمد، يارب اطمن عليه.

احتجّت على ضعفها، ومسحت دموعها المنهمرة، مطمئنة روحها أنه بخير، وأن انقباض قلبها هذا ضيق طبيعي من اختفائه، وهذا معتاد، ولكن ما يجعله يؤلم أكثر ما حدث مع عمر اليوم، أجل هذا ما يحدث، وهذا ما حاولت إقناع نفسها به.

* * *

سمعت أصواتًا بالخارج، وهي تُكمِل ارتداء ثيابها، خرجت فَزِعة، فمن يكون يا تُرى؟

يقف أمامها بشنطة صغيرة بيده كيف أصبح هنا بهذه السرعة، هَرَعَت تبحث وراءَه، أين، أين هو؟

لم تجد أحدًا، تحدثت بفوضى:

- فين محمد، محمد فين؟

تكلم بنفاد صبر:

- معاه صديق ليّا هيخلص معاه كل الإجراءات ويجي، فين التاني، وإيه اللي حصل؟ فهميني.
- ماعرفش، واستنيت زي ما قولتلي، أنا مستنية من امبارح، ولبست أخيرًا، قلت ماينفعش استنى أكتر من كده خلاص.

تبادلا نظرات طويلة، ثم قال يوسف بحذرٍ:

- كنتي رايحة فين؟
- كنت هخرج اتصرف، أحاول افهم ابني ماله؟ من امبارح إيدى على خدي، هموت.
- من غير إذني؟
- أه، من غيره يا يوسف، من غير إذنك، من غير أي حاجة كنت هخرج، بس ببساطة، كنت هروح لابني أشوف ماله بكل بساطة.

كان تعبير يوسف غامضًا كالعادة:

- هاتي العنوان.
- هاجي معاك.

لم يُجبها فقط هز رأسه قائلًا:

- العنوان.

نظرت سميرة إليه تشعر بالرثاء، وهو يتركها ويرحل، ولم تطل الحديث، فهي تعلم أن لا قيمة للحديث، اتسعت الفجوة، ولن يتمكن أحد من غلقها بعد الآن.

* * *

حين استيقاظ زهرة من النوم، وجدت نفسها وحيدة فقط، تؤلمها عيناها فهي لم تعرف النوم طيلة الليل.

أثناء محاولاتها الالتهاء بأعمال المنزل، برقت عيناها، وصعد الدم إلى وجهها، حين وجدت حلا ترتدي ثيابها، وتستأذن منها للذهاب للجامعة.

- بعد إذنك، أنا نازلة الجامعة.

نظرت إليها، وعلّقت على كلامها:

- روحي أوضتك، مافيش خروج.

شحب وجه حلا فجأة، وحاولت أن يكون صوتها طبيعيًا قدر الإمكان:

- ليه بس؟ أنا ورايا محاضرات مهمة.

كان صوت زهرة منفعلًا، وأضافت:

- امشي من قُدامي أحسنلك، لسه لينا قاعدة طويلة، اعرف السبب اللي عمله عمر.
- وأنا ذنبي إيه؟ المفروض إنه سابني انا.
- عاوزة تفهميني إن مافيش حاجة حصلت منك خلته يهرب منك؟

قالت بصوت كله توسل ورياء، وبِه رنة لوم على عدم وجود الطيبة بوالدتها يومًا:

- كنت عارفة، دائمًا أنا المذنبة دائمًا أنا الوحشة، كنت متأكده إنك هتلوميني أنا بس، ليه الكره ده، ليه بتكرهيني أوي كده،

عملت لحضرتك إيه بس، ليه عمري ما حسيت فيكي الأم اللي كونتيها لسيف؟

ألمتها رغمًا عنها هذه النبرة بصوت ابنتها؛ فلأول مرة تشعر بهذا الألم بصوتها، هل أخطأت حقًا حتى شعرت ابنتها بعدم حبها لها، أحست باليأس يدخل قلبها، فكان لومها على شقيقتها يفقدها بصرها لدرجة لم تدرك ما تفعله بابنتها؟

خفضت عينيها لتتجنب نظرات ابنتها الحادة، كانت لا تقبل الاعتراف بما آلت إليه الأمور، وأنّ هذه المناقشة لا تحدث حقًا، فلا تستطيع الإنكار أنها لم تحبها يومًا.

أشاحت بوجهها عنها، وهي عازمة على تركها بين دموعها، وعدم نفي ما تقول، فليس لديها ما تضيفه.

* * *

لدى وصوله للمخفر، طلب من الضابط رؤية ابنه، وبأنه المحامي الخاص به.

قال الضابط بابتسامة باردة:

- حضرتك الموضوع خِلص، وكنا منتظرين بس نخلّص الإجراءات، ونمشيهم.
- حقيقي؟ ازاي؟

- الشخص اللي خبطه وصلنا ليه، في عربية شافت الحادثة، والبلاغ جالنا النهاردة عنه ومسكناه، وهنخلص الإجراءات، ونمشيهم.
- الحمد لله.
- حضرتك محامي، وعارف، دي معجزة، وكرم من ربنا إن ده يحصل، وفكرة إن ابنك يعترف بشيء ماعملوش، حاجة غريبة، وتثير الاندهاش! ليه كاره حياته، لدرجة يقول كده؟ رغم إنه رجع أنكر، بس الفكرة كلها ليه من الأول؟

لم يعلق على كلام الضابط، ولكنه أقر داخله بحقيقة أن هناك خللًا، في بنيه الاثنين.. بهما شيء ما خطأ...

وطلب بتهذيب:

- ممكن اشوفه، هو وصديقه بعد إذنك؟
- أكيد، وهخلص الإجراءات، ويمشوا معاك.
- أشكرك.

وضغط الضابط على الزر جانبه، وطلب مِن العسكري أن يُحضِر الاثنين أحمد، وحازم.

كان أحمد، وحازم يقفان أمام غرفة التحقيق، وعين يوسف تبغض أحمد وكلها تساؤل.

* * *

نهار مَقيت مُرَّ على زهرة، حديثها مع حلا لم يكن سوى إشعال نار داخلها.

وجدت نفسها عالقة بين ماضٍ مؤلم، وواقع تبغضه، لا تريد رؤية أحد، ولا التعامل مع أحد.

لم تقبل بالفعل ورغم ما حدث أن تذهب حلا اليوم للجامعة، وطلبت منها المُكوث فقط بغرفتها، فهي لا تستطيع تقبُّل الأمر بعد، وهناك يقين داخلها بأنها فعلت بعمر شيئًا، جعله يبتعد عنها هكذا، ولن تسامحها إن كانت المخطئة معه.

عندما عادء زوجها من العمل، كان التضارب مازال يتسارع داخلها، لكنها حزمت قرارها وقالت:

- إن شاء الله يوم الجمعة، هنروح.

ابتسم فتلك السنين لم تذهب هباءً دون معرفتها، فيقينه بمعرفتها، أكَّد له بأنها ستقبل بالذهاب وتريد ذلك، فهذا ماضٍ عاش معها يؤلمها.

فقط أومأ رأسه لها بالموافقة، دون قول كلمة؛ كي لا يزيد استياءها.

* * *

- انت حيوان.
- عيب، عيب في بنوتة مؤدبة تشتم اللي هيبقى حبيبها؟
- انت عاوز مني إيه، وبتكلمني ليه عاوزة افهم، وحبيبها مين، انت عبيط؟
- بحبك، وهتبقي بتاعتي.

- يا سلام، وده من إمتى؟
- من أول مرة كلمتك فيها، وانا وقعت في غرامك.
- أيوة..أيوة، أسطوانات.
- عيب، انا مابقولش اسطوانات، لما تعرفيني هتعرفي إن المكانة اللي اخدتها دي، ماحدش غيرك خدها، وماحدش هياخدها تاني، فيكي شيء غريب بيقولي هي دي اللي هتكون معاها، وهتكون ليها وبس.
- بس أنا مخطوبة.
- هتسيبيه.
- نعم؟
- هتسيبيه، بسيطة أنا شوفت الدبلة في إيدك، وحسيت أد إيه هي خنقاكي، ولو بتحبيه ماكُنتيش سمحتي لكلام بينا يحصل من البداية، وانا قررت إنك هتكوني ليّا، وهيحصل.
- ده انت واثق في نفسك جدًا.
- جدًا، جدًا.

ابتسمت، وهي تتذكر مكالمتهما، وكيف له الاستحواذ عليها رغم بُغضها الشديد له، ولكن بغضها وكرهها لأنه المنشود، هو فقط من جعلها تظل أسيرة له، هو يقول، وهي تنفذ، يجعلها ترضخ له طواعية، ودون اعتراض.

لتنظر حولها، وقلبها يؤلمها.

الهرب من تلك الجدران يسيطر على كل حواسها، قلقها على أحمد يزداد، يوم آخر لم يفتح به هاتفه، ولا تعرف عنه شيئًا.

تذكرت حنين، وأسرعت بهاتفها:

- ألو.. لأ.. مش هقدر احضر.. حنين.. أحمد جه؟ برضو.. هو فين بس هتجنن بجد.. حاضر.. لو جه كلميني بليز.. ماشي.. ماما ماوافقتش أخرج.. ماشي، باي باي.

أغلقت الهاتف، وتململت بمقعدها، فحقًا إنها لمشكلة كبرى، من الممكن أن تصاب بالجنون إن لم تعرف أين هو؟ وستعلم عمّا يحدث معه، تشعر بأنها تموت بالبطيء هكذا وهي بعيدة عنه، وتتمنى الوصول إليه.

* * *

لم يتحدث يوسف مع أحمد حين رآه، ووجد عينيه تهرب منه.

فضَّل الصمت، والتحدث بعد عودتهما للمنزل، أنهى الإجراءات، واصطحبه هو وحازم معه.

قال أحمد :

- عربيتي؟

تحدث يوسف، وهو يقوم بالضغط على المقود:

- هتيجي؟

صمت أحمد، وخطف نظرة سريعة من المرآة بجانبه لحازم، وعاد مرة أخرى للنظر للشارع يتطلع إلى المباني وكأن لم يحدث شيء، ولا يقلقه ما يشعر به من غضب يوسف.

* * *

حين عودتهما للمنزل، كان محمد بالمنزل، وسميرة لا تتركه، فقط كانا الاثنان سويًا.

حين تقدم يوسف من باب المنزل، ووجدهما يتعانقان ويبكيان، زاد هذا المشهد من حنقه، واستيائه، وقال بصوت عالي النبرة:

- محتاجين كلنا نتكلم.

انتبهت سميرة له، ولأحمد الواقف جانبه، وأسرعت بخطى سريعة نحوه مُقَبِّلة له، قابلها أحمد ببرودٍ فلم يقرب يده منها، ولو للمسة، فقط هي تُعانقه.

نزع يديها عنه، وهو ينظر لمحمد الذي تملأ عينيه الدموع، لقاء بعد أكثر من ثلاثة أشهر لم يتحدثا بهم، ولو كلمة واحدة.

توجه محمد نحوه بخُطى بطيئة، واقترب بهدوء عينين تتلهفان له، الحب يبزُغ منهما.

أمّا أحمد لم ترجُف عيناه، فقط إنه أمامه، وبخير زاد من شعوره بالارتياح، فقد انتهى هذا الكابوس.

وتساءل بفتورٍ، وهو يبتعد بعينيه عن محمد الذى خاب أمله في معانقة حميمة تمناها من شقيقه:

- عملت إيه، وازاي طلعت؟

محمد وهو يحاول إدراك ما وجد من شقيقه، فلم يعانقه، لم يجد منه لهفة اللقاء، هزّ رأسه رافضًا، ويعلو صوته:

- انت مش احمد، إيه الغباء ده، ليه القسوة دي، كل ده عشان سافرت؟ مكالمات ليّا ماردتش، رسائل إلكترونية، تشوفها وماتردش، ليه، ليه القسوة؟

دموع سميرة تنهمر من حديث محمد، الذي تيقنته هي قبل الجميع، فأحمد يملك بقلبه قسوة، لم يكن أحد مثله حتى يوسف نفسه لم يملكها.

شعر أحمد بالألم مع كلام محمد، فحقًا، لا يستطيع الابتعاد أكثر، يتمنى أخذه بين أحضانه، هو لم يحب، ولن يحب أحدًا بقدر محبته له، فهو وحلا كل ما يملك، اقترب بهدوء، والتفت إليه بعين تلمع بالدموع، وفتح له ذراعيه داعيًا له بالذهاب إليه.

اقترب محمد منه سريعًا فهذه المعانقة التي يحتاجها أحمد، هو منبع الأمان بالنسبة إليه، غابا سويًا بعناقٍ طويلٍ، يحمل بين طياته شوقًا كبيرًا من الاثنين.

- كانت عينا يوسف تراقبهما بصمتٍ وضيقٍ، وقال بصوت عالي النبرة: محتاجين نتكلم، وكلنا وحالًا.

لتقاطعه سميرة، قائلة:

- أنا عاوزة اتطلق.

* * *

تطلع عمر لأول مرة في العينين الواسعتين، اللتين كانا دائمًا يتابعانه بحب، لتحل داخله حيرة وأثار تساؤل، وقال على غير عادته بجرأة:

- أمل انتي بتحبيني؟

قوله هذا، جعل الأكواب تقع من يديها بالأرض، مما جعله يسرع؛ كي يساعدها.

حين لمست يداه يدها، ارتجفت، ونهضت سريعًا بعيدًا عنه.

أشارعمر بيده، وهزّ رأسه:

- أنا آسف، انسي اللي قولته، أنا مش عارف ازاي قلت كده، حقيقى آسف.

جاهدت لتحافظ على هدوء أعصابها، وقالت بصوتٍ خفيض بارد:

- أنا ...أيوة.

كان رد فعلها عجيب، وفاجئه:

- أنا فعلًا... بس يفيد بإيه إذا كان الحب ده لعنة؟

اقترب منها بهدوء، قائلًا:

- ليه بتقولي كده يا أمل؟
- لإنك عمرك ما حسيت بيّا، وعمري ما احب إنك تحبني؛ عشان حسيت إني بحبك.

أمسك عمر بيديها، وقربها منه:

- هتصدقي، لو قولتلك إني بجد بحبك؟ هو أنا ماعرفش إمتى وازاي، بس حاسس إني بحبك من زمان، يوم ما كنت عندكم حسيت إن دي العائلة اللي عاوزها وبحبها.
- أنا آسفة.
- ليه؟
- لإني مش مصدقاك.

وتركته متجهة بعيدًا عنه، قائلة:

- انت دلوقتي بتحبني؛ عشان مجروح، مش هقبل بحبك دي، أنا آسفة.

التوى فمه بسخرية:

- ده ماكنش حب، ده كان تعود، تعلق بحاجة، لو كنت بحبها ماكنتش حسيت بيكي، ولا اعترفتلك إني بحبك، أنا مش هوائي.

شعرت بصدمة، وقاطعته ببرود:

- بلاش تقول كلام تندم عليه بعد كده.
- أنا فعلًا هندم لو ماتكلمتش، أنا بجد بحبك.
- بس انا مش بحبك.
- لأ انتي بتحبيني، ومتأكد من ده جدًا.
- لأ.

اقترب منها بنعومة، وهمس بأذنها:

- أنا بحبك.

ارتجف قلبها، وتوهج وجهها، وقالت:

- أنا خايفة تجرحني..
- صدقينى مش هيحصل، مستحيل حد اتجرح يجرح، ده أكتر إنسان يقدر يطيب المجروح.
- وممكن يبقى أكتر إنسان حابب ينتقم ..
- ممكن، بس انتي عارفة ان انا مش كده، انتي عرفاني يا أمل، مش انا اللي اجرح حد أبدًا.
- بس ممكن قلبك يكون حابب ينتقم ..
- أمل لو سمحتى اديني الفرصة.
- خايفة.
- أوعدك مش هكون أبدًا سبب إن دموعك تنزل، عمري ما هوجعك في يوم، صدقيني.

* * *

وقفت زهرة أمام المنزل، الذي كتبت عنوانه شقيقتها وبجوارها زوجها، وسيدة ترتدي الأسود تفتح لها من الشقة المجاورة، قائلة:

- مين؟

الزوج بتساؤل:

- لو سمحتي، هي مش دي شقة مدام أحلام؟
- أيوة، البقاء لله، انتم مين؟

وقفت زهرة تحاول التماسك، ماذا تقول تلك المرأة، ماتت شقيقتها!!

قال الزوج بهدوء:

- ماتت؟! إمتى؟ دي لسه باعتلنا من إسبوع.
- إمبارح العمر مابيستناش حد، وهي كانت عيانة أوي، بس انتم مين؟
- دي اختها.

اقتربت السيدة، بلهفة:

- انتي زهرة؟

لم تستطع التحدث فقط، أومأت رأسها بأنها هي، وقال الزوج:

- أيوة، هي.

- الحمد لله إنك جيتي، في صندوق اختك طلبت اسلّمه ليكي لو جيتي.
- صندوق إيه؟!

لفظت كلماتها بلهفة، والخوف والألم يسيطران عليه.

أسرعت المرأة لداخل منزلها، وعادت مرة أخرى حاملة صندوقًا صغيرًا بيديها، وتركته بيد زهرة بهدوء.

* * *

طيلة أعوام كثيرة عاشت حلا على أمل أن تجتمع بأحمد برباط مقدَّس، أنهيا جامعتهما، يومًا عن يوم تعلقهم ببعضهما يزداد.

اليوم يذهب لها بمنزلها، لكي يراها.

قابلته زهرة، بابتسامة عريضة:

- ازيك يا بني.
- الحمد لله يا طنط، وحضرتك؟
- أهو الحمد لله، نعمة.
- ابتسم بدوره وقال:
- الحمد لله، هي حلا فين يا طنط؟
- بتستعد يا بني عشان تخرجوا.
- تمام.

أتت حلا من الداخل تبتسم بشدة، كل يوم تراه لا تصدق أنهما وبرغم شخصية أحمد المتقلبة دومًا ما زالا سويًا، فيوم يريدها، ويعشقها، ويوم يتبدل، ويبغضها، ورغم كل شيء تريده، وتتمنى أن تكون له هو فقط.

ابتسم لها، وهي تجلس على مقربة منه، وقال:

- وحشتيني.

ابتسمت بخجل واضح، ولم تجبه فقط اكتفت بالنظر في الأرض.

ابتسمت زهرة، وهي تدعوها للجلوس قربها:

- تعالي يا حلا.

حلا بابتسامة، تجلس قربها:

- نعم يا ماما .

أخذت زهرة تطيّب خاطرها، وتربت بخفة على كتفها:

- اللي نفسك فيه هاتيه، ودول الفلوس بتاعتك، هاتلها اللي نفسها فيه يا احمد، كل اللي تتمناه.

ابتسمت حلا بسعادة، وهي تتذكر كيف أن معاملة والدتها تبدلت معها منذ أكثر من سنة.

- قالت بخجل واضح:
- شكرًا يا ماما.

تتأبط حلا ذراع أحمد -تم عقد قرانهما- وتذهب معه لابتياع باقي احتياجات المنزل، فبعد اثني عشر يومًا.. زفافهما.

* * *

اقترب من والدته لحظة انصراف أحمد وحلا .. وتساءل بفضول:

- ماما .
- نعم يا حبيبي.
- هو انتي اتغيرتي مع حلا كده ليه؟!
- كده ازاى؟!

- يعني من كام سنة كانت المعاملة غير، اتغيرتي تغير شامل، كنتي بتعنفيها، كنتي بتحبيني أنا وبس، ليه كل حبك اتحول لها؟!
- انت غيران؟
- لأ.

ابتسمت زهرة بهدوء، وقالت:

- كلكم ولادي، وبحبكم يا سيف.

عقد حاجبيه، وقال منفعلًا:

- بس أنا ماقولتش غيران، أنا بس مستغرب!
- هحكيلك، بس هتستوعب؟
- أه.
- ....

كمش سيف وجهه، وقال بضيق:

- يااه يا ماما وهي كان ذنبها إيه؟ حلا اختي أطيب بنوتة يا ريتني ألاقي واحدة زيها.
- ما كنت لقيتها وكانت في إيدك، واتخطبتوا، وكانت بنوتة عسولة يا سيف بس شكك ضيعها.
- مابعرفش يا ماما أدي ثقة في حد، بجد عارف إني خنقتها بغيرتي، بس اعمل إيه؟ من حبي فيها.
- معلش، بكرة تلاقي اللي تعوضك عنها.
- لأ، خلاص مش عاوز، أنا هعيش لوحدي كده.

- هههههههه، بيتهيألك بكرة تلاقي اللي تخطفك، بس حاول تبطل شك شوية.

نظر إليها مطولًا، هل من الممكن أن يتغير، هل يستطيع أن يثق يومًا بأحد -ابتسم بسخرية- فلو كان يستطيع لفعل هذا من زمان، هو كُتب عليه أن يعيش هكذا طيلة حياته وحيدًا.

* * *

اليوم يوم زفاف حلا وأحمد .

وجود حنين كصديقة، يملؤها الوفاء بجانب صديقتها.

وأيضًا حازم الذي لم يتخلَّ عن صداقة أحمد برغم تقلباته دومًا، مما يؤكد معدنه الحقيقي.

حضر عمر وأمل مع أبنائهم الزفاف، يبدو عليهم السعادة، استطاعت أمل أن تجعل عمر يتأكد يومًا عن يوم أنه دونها كان خسر الكثير.

اليوم يوسف، وسميرة يجتمعان بعد سنين طويلة لم يلتقِ بها ولو لمرة منذ تم طلاقهما.

استطاع محمد أن يبرز نفسه في عالم الفن، وأصبح من الوجوه المحببة للجمهور وهو أيضًا من يقوم بإحياء ليلة الزفاف، ومازال وحيدًا ينتقل من فتاة لأخرى.

تجلس بعيدًا تنظر إلى الجميع، وبجوارها رفيق عمرها يضغط على يديها بحب، ويقول:

- بنتنا يا زهرة، بنفرح بيها.

ابتسمت زهرة، واكتفت بالنظر إليهما، وهي تتذكر كيف لمجرد رسالة أن تُغير حياتها رأسًا على عقب.

حين صعودها بجانب زوجها بالسيارة، أخذت تفتح الصندوق بهدوء.

نظرات متلاحقه من الزوج بين متابعته للطريق، وما تفعل زوجته.

وجدت مشبك الشعر الخاص بها، وتتذكر يوم أخذته أختها يوم اختفائها من الدرس، وعدم عودتها منه مرة أخرى.

فيومها علم الجميع أنها لاذت بالفرار؛ كي تتزوج من الفتى الذي كانت تجمعها به علاقة، ورفض البيت لديهم الموافقة عليه .

فوجدت بالرسالة ما جعل الدموع تنهمر من عينيها بغزارة، ويجعل قلبها ينزف بشدة، وهي تقرأ سطورها.

- الرسالة:

"حبيبتي زهرة:

أيوة، انتي حبيبتي، معنى إنك بتقرئي الجواب ده، إن روحي طلعت مني خلاص، ومعناها برضو إني رايحة للي مابيظلمش، مابيظلمش زيكم، ويعملوا نفسهم قضاة، ظلمتيني يا زهرة واتخليتي عني، كلكم ظلمتوني، واتخليتوا عني، أنا يا زهرة ماهربتش، أنا اتخطفت.

(تركت زهرة الخطاب من يدها، وشهقت).

تحدث الزوج، وهو يحاول التركيز بالطريق: فيه إيه؟!

خطفني اللي كان مسمي نفسه بيحبني، خطفني وعذبني لما رفضت إني اتجوزه من وراكم وكنت عاوزة ارجع، أنا مش وحشة يا زهرة انتوا حتى مافكرتوش

تقولوا حصلّها إيه وازاي؟ مجرد ما أرسل ليكم إنه اتجوزني، صدقتوه، وبعتوني، ما اهتمتوش تعرفوا أنا عايشة ازاي، ولما مالقتش حد يقف جنبي ويساعدني، هربت منه، واشتغلت في المصانع عاملة، أنا اتهانت واتمرمط، بس عشت طول عمري شريفة عمري ما غلطت، فكرتكم عني، واتهامكم ليّا إني إنسانة وحشة، ظلمتوني وانا مش مسمحاكم، أنا ماكنتش مستعدة أبدًا إني ارجع، أنا جوابي ده عشان تعيشي شوية من اللي عشته، كان نفسي يكون اخوكي لسه عايش واوجعه زي ما طول عمري اتوجعت، عشتوا مرتاحين، وانا اتهانت، وكانت كرامتي بتوجعني، كان إن اعيش لوحدي أفضل من رجوعي ليكم، جرحي كان كبير أوي، زهرة أنا هستناكي عند ربنا، هستناكي عشان اعاتبك، والومك إنك ماكنتيش الأخت اللي يوم ما كلمتها، وكنت فاكراها هتقف جنبي، قفلت تليفونها في وشي، وقالتلي: ماليش اخوات.. ليكي أخت يا زهرة، وجه الوقت تعيشي بألم ظلمك ليها.

مع السلامة".

وما إن أنهت رسالتها، حتى أجشهت ببكاء هستيري، مما جعل الزوج يضغط على مكابح السيارة بفوضى ليقفا بوسط الطريق.

تمتم بحدة:

- في إيه مالك؟!

أسندت ظهرها للوراء، وتناولت النظر أمامها في صمت وذهول، واستمرت بالبكاء.

أخذ الرسالة من يدها، وأخذ يقرأها بشغف، وحين الانتهاء:

- لا حول ولا قوة إلا بالله.

شعرت بضغطت يده على يدها؛ لتعود من شرودها على صوته:

- روحتي فين يا زهرة؟!
- لأحلام.
- الله يرحمها، برغم كل اللي حصل، كانت سبب كرهك لحلا، وبرضو قربك منها، وندمك.
- حلا اتظلمت، وسطنا.
- بس عوضتها، وهي سعيدة، وده المهم.
- الحمد لله إن لحقتها، كانت ممكن تضيع مني، والحمد لله رضيت تدخل حضني، وتحكيلي أد إيه بعدتها وكرهتها فيّا.
- معلش، المهم إنكم دلوقتي فيه علاقة طيبة بينكم.

نظرات طويلة تجمع بين سميرة ويوسف، بقيت ساكنة، وهي تتذكر قبوله لطلبها بهدوء، وكأنه كان يتمنى الانفصال أكثر منها.

ابتسمت له، وهي تُخفي ألمها الذي لم يهدأ، رغم كل تلك السنين، واتجهت نحو أبنيها لالتقاط صورة معهما.

نظرات يوسف لولديه غامضة، فعلى الرغم من حقدهما عليه، وتجاهلهما له دومًا، إلا أنه يسعد بهما، رغم حنقه بعض الشيء؛ لتصميم محمد بسلك طريق الغناء، وترك دراسته، ورفضه العودة للخارج بعد ما حدث، وهذا يراه يوسف أيضًا إحدة نقاط ضعف شخصيته.

* * *

حل صباح اليوم التالي، يجلس أحمد.. والألم يعتصر قلبه.. تغيب عنه سعادته.. يضع وجهه بين يديه.. الشحوب يتسيد قسمات وجهه..

تظاهرت حلا بعدم الاكتراث قائلة:

- بحبك يا احمد، ومافيش شيء هيقدر يبعدني عنك.

وأمسكت بيده، وهي تُلقي نظرة دعابة:

- مش هتفطرني ولا إيه؟
- سيبني لوحدي يا حلا.
- لأ، مش هسيبك، وهفضل جنبك، وبحبك وهعيشلك.
- وأنا مش هسمحلك تعيشي معايا شفقة، مش انا.
- وانا مش عايشة معاك شفقة أنا حقيقي بحبك، والموضوع ده مش فارق معايا أبدًا كفاية انت بس معايا.

ابتعد عنها بنفور، وقال:

- ابعدي عني، سيبني لوحدي، وبس.
- لأ، يا احمد، مش هسيبك.
- بقولك سيبني سبيـــني، اطلعي بره، وسيبني.

دموع تتسارع على وجنتيها، فهي تعلم بأن شخصية كشخصية أحمد لن ترضىأن تتقبّل الأمر ببساطة.

اليوم علمت ما هو عقاب تلك الأيام الراحلة، كان عجزه هو عقابها، وتقبلته، وهي تتمنى فقط أن تعيش متفانية، تراعيه وتحبه حتى الموت.

تمّت

* * *


عصير
الكتب

اـــمة

السعادة منها المنقطع ومنها الموصول، أحمق من يسعى للسعادة المنقضية، وإن كانت فقط حب للتجربة، وللهو، وللعب، وبارع من عَلِمَ أن السعادة ممدودة في الدنيا والآخرة،

و لم يتعجل في الحصول على سعادة عابرة.. فانية.. زائفة.. تلحقها الندامة.. وتصحبها الآلام..

من استعجل شيئًا قبل أوانه، عوقب بحرمانه؛ فالجزاء من جنس العمل.

كان أحمد مجرد ضحية عائلته, وأيضًا كانت حلا، فتاهت ببراثن الضياع واستباحت ما ليس لها ولم تعلم الخطأ مِن الصواب, فلم تلقَى الاحتواء داخل عائلتها لكي تَعي ما تفعل فقط كانوا أداة لتشتُتها وتمزُعها, وإن لم يكن جسديًا يكفيها ضياعها النفسي.. كما ضاع أحمد داخل قوقعة مليئة بالتحديات, تاه داخل ظُلماته, لم يُحب سوى نفسه, هكذا وجد نفسه, وكانوا هم سببًا قويًا جعله يهرع لبناء شبكة خاصة به لا يستطيع أحد مهما كان

التسلل داخلها, وهُنا.. يجمعهم نفس التمزق النفسي.. تُرى،هل سيعينوا بعضهم على تخطي الأزمات أم ستتحمل حلا كل ما هو آت؟!



شُكر خاص

إلى الوحيدة الوحيدة التي تستحق الشكر..

إلى أمي العزيزة.. مَن أعشق تراب قدميها

وأشكر ربي يومًا بعد يومٍ لوجودها..

فقد مَنَّ عليَّ ربُّ العباد بها



50 شارع عثمان محرم، الطالبية، هرم.

0225622743 /01221064663